دائرة معارف الحيوان العلمية

في القرآن الكريم والحديث الشريف
و اللغة والأدب والتاريخ والأمثال والرؤى

الجزء الأول

إعـداد
حازم إسماعيل السيد

دار
التقوى
للنشر والتوزيع

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
السيد، حازم إسماعيل
دائرة معارف الحيوان العلمية في القرآن الكريم والحديث الشريف واللغة والأدب والتاريخ والأمثال والرؤى/ إعداد حازم إسماعيل السيد . ــ القاهرة : دار التقوى للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥
ج١ ، ١٧٦ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك ٣ ٩٤ ٥٨٤٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ــ الحيوان ، علم ــ دوائر معارف
أ ــ العنوان
٥٩١,٠٣

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع

٢٠١٥/١٤٢٥١

I.S.B.N
978 977 5840 94 3

مقـــدمـــة

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ (الحشر : ١) إن الإنسانَ ليس المخلوقُ الوحيدُ المسبِّحُ في الكون ، فإن المسبِّحات من خلق الله كثير لا يحيط بعددها إلا خالقها ولا يحصيها إلا بارئها سبحانه ، فقال تعالى في محكم التنزيل : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الإسراء : ٤٤) فكل خلق الله مسبحٌ بحمده شاكرٌ لأنعمه ، والإنسان بجانب كل ما في الكون من مسبِّحات جاحدٌ لا يصلُ إلى معشار تسبيح الطير حيث كانت تسبِّح مع نبيِّ الله داود عليه السلام وهو يترنمُ بالزبور ، قال الله تعالى : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾ (ص : ١٩) ، ولا هو يكافئُ تسبيحَ الدَّوابِ التي سخَّرها الله تعالى لخدمته ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ ظهورها منابر يُخطب عليها فقال رسول الله ﷺ : **" رُبَّ مركوبةٍ خير من راكبها وأكثر ذكرًا لله منه "** . [1] حتى أن الجمادات تسبح خالقها ، فقد كانت الجبالُ يسبحن مع داود عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ .. ﴿١٠﴾ (سبأ : ١٠) ، وكان يُسمع تسبيحُ الحصى- في يدي رسول الله ﷺ وبعض أصحابه .. فالكونُ كلُّه منظومةٌ واحدةٌ متكاملةٌ تتفاعل في تناغم بديع بنظام محكم نحو العبودية لخالقها ، تسبِّح بحمده ، وتنتظم في مسلك عبادته ، والإيمان بالله ورسله وكتبه ، وهذا ما أشار إليه النبيُّ ﷺ حيث قال : **" إنَّه ليس شيءٌ بين السماء والأرض إلا ويعلم أنِّي رسولَ الله غير عاصي الجن والإنس "** [2].. فسبحان خالق هذا الكون وملهم المنطقَ للطير ،

١ – رواه أحمد في مسنده .

٢ - رواه أحمد في مسنده ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، والدارمي في سننه .

وواهب كل مخلوق أسباب معيشته وبيان لسانه ومنطقه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام : ٣٨) ، وتأمَّلْ حال الهدهد إذ أقبل على نبي الله سليمان – عليه السلام – ثابت الجأش وخاطبه بلسان الواثق في واحدة من أخطر القضايا ، ألا وهي قضية التوحيد ، ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النمل : ٢٢ – ٢٦) ، والضفدع قالت لسليمان – عليه السلام – :أتَمُنُّ على الله بتسبيحك ؟! فأنا أسبِّحُ أكثر منك . [١] والنملة يمر بها نبيُّ الله سليمان – عليه السلام – فوجدها ترفع أكفها في ضراعة إلى السماء داعية ربها بالسُّقيا حين انقطع المطر ، فرجع سليمان – عليه السلام – وخاطب قومه قائلاً : ارجعوا فقد سُقيتم بدعاء غيركم . [٢] فسبحان الله الذي ألهم مخلوقاته التسبيح ، والحمد ، وشكر النعمة ، ووهب الإنسان نعمة العقل الذي يميز به طريقَ الحقِّ من الباطل ، ذلك العقل الذي يسمو بصاحبه فيرفعه إلى مصاف الملائكة أو يهوي به إلى أسفل سافلين ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء : ٧٠) ، وحمَّله الأمانة التي ناءت بها السمواتُ ، والأرضُ ، والجبالُ

---

[١] - المستطرف في كل فن مستظرف – الأبشهي .
[٢] - نهاية الأرب في فنون الأدب – الدينوري (جـ ١٠) .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب : ٧٢) ، والأمانة هي : امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وتأدية الطاعات ، وذلك هو مناط التكليف ، كما أودع اللهُ الكونَ أمانةً في عنقه وسخَّرَ ما فيه لنفعه والانقياد له ، فهل خان الإنسانُ الأمانة أم حافظ عليها ؟ وهذا العمل – وأحتسبه لوجه الله تعالى – ما هو إلا محاولة للتفكر والتدبر في خلق الله وهو ما دعانا إليه خالقنا ، إذ قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الجاثية : ٣) وهي دعوة مفتوحة نستلهم فيها هدي كتاب الله تعالى ونستبصر بنوره وضيائه ، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ثوروا القرآن ! [1] فقد أوصانا الصحابي الجليل أن نتدبَّر معاني القرآن فنستخرج ما به من كنوز كما تُثَوَّرُ الأرض وتُحرثُ لنُخرِجَ ما بها من خير ، كما يدعونا هذا العمل إلى تأمُّلٍ عظمة رسولنا العظيم في أقواله وأفعاله مصداقاً لقول ربه تعالى فيه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ (النجم : ٣) ، كما أوردتُ ما فيهما من إعجاز علمي في ضوء العلم الحديث ، كما أوردتُ ملامح الإبداع العربي من قصص ، وحكم ، وأمثال ، وشعر في صورة تجذ ب القارئ وتشد انتباهه ليُعِملَ عقله ، ويحرك ذهنه ، فيثُبُتْ الإيمانُ ويزداد اليقينُ ، والله ولي التوفيق .

المؤلف

القاهرة في شعبان ١٤٢٩ هـ

٢٥ / ٨ / ٢٠٠٨

---

[1] - تفسير الشعراوي .



١–أَرنَبٌ

ينتمي الأرنب وفقًا للتصنيف الحديث إلى رتبة الأرنبيات بعد أن ثبت اختلافه عن القوارض في التشريح ، والأرانب حيوانات عاشبة [١] نباتية الغذاء ، ويستطيع الأرنب الواحد أن يأكل خمسة أمثال وزنه من العشب في اليوم الواحد .

ومن المحتمل أن يكون موطنه الأصلي منطقة البحر المتوسط ، ثم أدخله النورمانديون من جنوب أوروبا إلى إنجلترا ، ومنه انتقل إلى جميع بقاع العالم ، وكان أول من استأنسه هم الرومان في القرن الأول الميلادي .

والأرانب لها عدة أنواع منها : الأرانب البرية ، وهي : كبيرة الحجم طويلة الأرجل والآذان وتعيش بمنأى عن الإنسان ، والأرنب المستأنس وله سلالات يبلغ عددها نحو ٥٠ سلالة منها : البلدي ، والهولندي ، والإنجليزي ، والفرنسي.. وجميعها تلد صغارها عارية الجسم عمياء ، بخلاف الأرانب البرية .

والأرنب حيوان سريع العدو تبلغ سرعته ٨٠ كم / س . وأغلب أنواعه تحفر أنفاقًا قد يصل عمقها إلى نحو ٢٠ م ، ويستطيع الأرنب إذا ما طُورد أن يقفز إلى فتحة النفق من مسافة تصل إلى ٥ م ، وهو حيوان يميل إلى الصمت ، لكنه قد يصدر في حالة الخوف أو التهديد صيئًا حادًا . وتلد الأنثى عندما تبلغ من العمر ٥ شهور ، وتضع ٦ – ٨ صغار غالبًا ، بعد حمل شهر تقريبًا ، ويعيش الأرنب ٨ – ٩ سنوات . وتـُرَبَّى الأرانب للاستفادة بلحومها طيبة المذاق ، كما تـُرَبَّى بعض أنواعه للحصول على فرائها .

[١] - الحيوانات العاشبة : آكلة العشب .

في اللغة :

الأرنبُ اسم يُطلق على الذكر والأنثى ، والجمع : **أرانب** ، كما يُسمَّى ذكر الأرنب : **خُزَزٌ** ، والجمع : **خِزَّانٌ** ، والأنثى : **عِكرِشَة** ، والصغير : **خِرْنـَقٌ** ، بينما يُعرف صوت الأرنب **بالضُّغاب** و **الضَّغِيب** .[1]

في الأدب :

قال الدميريُّ : والأرنب عكس الزرافة ، فهو قصير اليدين ، طويل الرجلين .[2]

ووصفها المأمون ، فقال :

لهـوتُ بـذاتِ رأسٍ والتيـاث	**كـرفـعِ الإصبعـين على الثـلاث**
إذا السبابةُ ارتفعت مع الخنـ	**ـصر اجتمـع الثلاث بلا انتكاس**
لهـوتُ بهـا تطيـرُ بـلا جنـاح	**وتنسبُ في الذكور وفي الإنـاث**[3]

وكان العرب قديمًا يتفاءلون بها ، ومن مظاهر هذا التفاؤل أنهم كانوا يعلِّقون كعوبها فوق أبواب بيوتهم مدعاة للتفاؤل ، ويتسمون كعبًا ، وهو من أسماء العرب الشائعة .

في الحديث الشريف :

ورد في الحديث الشريف إباحةُ أكله ؛ لأنَّ الرسول ﷺ أكل لحمه واستطابه ، فعن أنس رضي الله عنه قال : أنْفَجْنَا[4] أرنبًا بمَرِّ الظهران[5] فسعى القومُ فلَغَبوا[6] ،

---

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .
[2] - الحيوان للجاحظ .
[3] - دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي .
[4] - أنفجنا : تتبعنا .
[5] - مَرَّ الظهران : موضع يبعد عن مكة عدة أميال .
[6] - لغبوا : تعبوا .

فأدركتها فأخذتها ، فأتيتُ بها طلحةَ فذبحها وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها – أو فخذيها ، قال : فخذيها لا شك فيه – فقبله . قلتُ : وأكل منه ؟ قال : وأكل منه . ثم قال بعد : قَبِلَهُ . [1]

وقد أحلَّ جمهورُ العلماء أكل لحمه عدا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وابن أبي ليلى فإنهما استدلا على كراهته . [2] ويذكر ابن القيم في " الطب النبوي " أن أفضل لحمها وركها وأفضله المشوي ، وهو يفيد كمدرٍّ للبول ، كما يفتِّت الحصى ، وأكل رؤوسها ينفع من الرعشة ، وهو أفضل لحوم الوحش بعد الغزال . [3]

وقضى السلف أنه من قتل أرنبًا في الحرم فعليه فدية من المعز تزيد عن أربعة أشهر . [4]

في المثل العربي :

قال العرب : " **ألين من خِرنَق** " [5] ، والخِرنق هو ولد الأرنب .

وكان للنبيِّ ﷺ درعٌ يُقالُ لها الخِرنَق للينها . [6]

في الرؤيا :

تُؤَول الأرنبُ في الرؤيا أنَّها امرأةٌ حسناء من أخذها تزوَّجها ، وإن ذبحها فإنها زوجة غير باقية ، وقيل : الأرنبُ في الرؤيا رجلٌ جبانٌ رعديدٌ . [7] ومن رأى أنه يأكل أرنبًا مطهيًا أتاه رزقٌ من حيث لا يُحتسب ، ومن أُهدي إليه جاءَهُ رزقٌ أو تزوَّجَ إن

---

[1] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والنسائي والترمذي وابن ماجة في سننهم ، وأحمد في مسنده ، واللفظ للترمذي .
[2] - فقه السنة – سيد سابق .
[3] - الطب النبوي لابن القيم .
[4] - المصدر السابق .
[5] - جمهرة الأمثال .
[6] - حياة الحيوان للدميري .
[7] - تفسير الأحلام لابن سيرين .

كان أعزبًا . [1]

٢–أَ سَـــــد

الأسـد حيوان ثديي ينتمـي لرتبـة آكـلات اللحـوم ، ويعـد مـن أكـبر أفـراد الفصـيلة القططية . عُـرف منـذ أقـدم العصـور أنَّـه سيدُ الوحـوش وملـكُ الحيـوان ؛ وهـو حقـًا جدير بهذا اللقب لجماله ، وما ينم عليه مظهـره مـن النبل والعظمـة والكبريـاء ، عـلاوة على لبدته التي تحيط برأسه ورقبتـه وتكسـوه مهابـة وبهـاء . وكـان ملـوك الحبشـة قـديمًا يتخذونـه رمـزًا لـبلادهم ، وكـانوا يطلقـون الأسـود في حـدائق قصـورهم لإرهـاب أعدائهم ، كـما كـان الفـرس يفعلـون ذلـك وقـد ذُكـر في التـاريخ الإسـلامي أن الفـرس أطلقوا عـلى المسـلمين في "سـاباط" بعـد القادسـية أسـدًا فقتلـه هاشـم بـن عتبـة بـن أبي وقاص بسيفه فقام إليه عمه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنـه فقبَّـل رأسـه . وينحصر وجود الأسود اليوم في سهول السافانا الإفريقية وقليل منها في شبه القارة الهندية بآسيا بعد أن كانت شائعة منذ قرابة ٢٥٠٠ عامًا بغرب آسيا ، وآسيا الصـغرى وألبانيـا ، وفي جبال أطلس بغرب إفريقيا . وللأسد زئير مميز يستخدمه الـذكر في حمايـة منطقـة نفـوذه التي قـد تصل مساحتها إلى ٢٠ كم ، وهـو لا يـزأر خـلال سـاعات النهـار ، وإنـما يـزأر وقت الغروب .

والأسـدُ حيـوان قـويٌّ زوده الله تعـالى بجسـد قـوي حيـث تحتـوي منطقـة الصـدر والساقين الأماميتين على عضلات كبيرة هي مصدر قوته . وهو حيوان شـجاع جـريء لا يخاف إذ أنه يهاجم الأفيـال الصغيرة ، وفـرس النهر ، والجامـوس الوحشـى ، وهـي

[1] - حياة الحيوان للدميري .

حيوانات قوية لا يهاجمها إلَّا الأسود .

ويعيش الأسد في مجموعات يتراوح عددها بين ١٠ – ٢٠ فردًا تتكون من ذكر واحد مسيطر وعدة إناث وأشبالهن ، والأنثى تلد ٤ – ٦ أشبال ، بعد فترة حمل ١٠٤ – ١١٠ يومًا ، والذكر يصل إلى البلوغ حين يبلغ ثلاث سنوات ، لكنه لا يصل إلى عنفوانه إلا بعد ست سنوات ، أما الأنثى فتنضج جنسيًا حين تبلغ ثلاث سنوات . ولا تنمو لبدة الذكر التي تميزه عن الأنثى إلا في سنته الثالثة . ويعمر الأسد ٢٥ – ٣٠ عامًا في الأسر .

في اللغة :

الأَسَدُ : حيوانٌ معروف جمعه : **أُسُودٌ** ، و**أُسْدٌ** ، والأنثى : **لَبُؤَةٌ** ، ويُسَمَّى ولده : **جَرْو** ، فإذا أدرك الصيد يسمَّى : **شِبلاً** ، وصوته : **زئير** ، ويُسَمَّى موضعه : **العَرين** ، أما **اللِّبَدَةُ** : فهي الشعر المجتمع على رأسه وحولها .[1]

وقال ابن خالويه : للأسد خمسمائة اسم وصفة ، وزاد عليه عليٌّ بن قاسم بن جعفر اللغوي مائة وثلاثين اسمًا أخرى ، ومن أشهر أسمائه : **الحارث** ، و**أسامة** ، و**الدِّرواس** ، و**السَّبع** ، و**حَيْدرة** ، و**الصَّعب** ، و**الضِّرغام** ، و**الليث** ، و**الورد** ... من كنياته : **أبوالأبطال** ، و**أبوحفص** ، و**أبوشبل** ، و**أبوالعباس** ، و**أبو الحارث** .. ومما لا شك فيه أن كثرة الأسماء والصفات تدل على شرف المُسمَّى .[2]

في الأدب :

قال الجاحظ : الأسدُ سيدُ السِّباع ، وهو عندما يصيد يبدأ بشرب الدم ، ثم يبقر

---

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .
[2] - حياة الحيوان للدميري .

البطن ويأكل ما فيه من الأحشاء حتى الزبل . [1]

وقال الدميري : وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس في غيره من السِّباع ، ومن شرف نفسه أنَّه لا يأكل من فريسة غيره فإذا شبع منها تركها ولم يَعُدْ إليها ، كما أنَّ ريقَه قليلٌ جدًا ؛ لذا يُوصف بسرعة البخر ، فيُقال ليس شيءٌ أشد بخرًا من الأسد ، وهو يأكل الحار والحامض ، ولا يدنو من المرأة الحائض ، ويتحيَّرُ من رؤية النار ، ويفزع من صوت الديك . [2]

وقيل : الأسدُ أشدُّ السباع قوة ، وأكثرها جرأة وهيبة ، تهرب من زئيره الحيوانات كلها إلَّا الحمار ، وهو لا يزأر عند جوعه حتى لا يهرب الصيد ، وقد وصفه الشاعر ، فقال :

بَراثِنُهُ [3] شُثْنٌ [4] وعيناه الدُّجى [5] ... كجمرِ الغَضى [6] في وجهِهِ الشَّرُّ ظاهرُ

يَديلُ [7] بأنيابٍ حِدادٍ كأنها ... إذا قَلَّصَ الأشْدَاقَ [8] عنها خَناجرُ [9]

وقد ظلَّ الأسدُ رمزًا للقوة والجرأة لذا وضعه أحدُ الأدباء على رأس قائمة من الصفات التي يجب أن يتخلقَ بها المحارب ، وهي :

قوة القلب كالأسد لا يجبن ..

الكبِر كالنمر لا يتواضع لعدو ..

---

[1] - الحيوان للجاحظ .
[2] - حياة الحيوان للدميري .
[3] - البراثن : المخالب .
[4] - شثن : غليظ .
[5] - الدجى : الظلام .
[6] - الغضى :نوع من الشجر خشبه شديد الصلابة ، وجمره يبقى مشتعلاً طويلاً ، ومفرده غضاة .
[7] - دالت بطنه استرخت وقربت من الأرض ، والمعنى أن أنيابه طالت حتى أنها تكاد تمس الأرض .
[8] - الأشداق : جمع شدق ، وهو جانب الوجه تحت الخدِّ .
[9] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

الشجاعة كالدب يُقاتل بجميع جوارحه ..

الكرّ على عدوه كالخنزير [1] لا يولي دبره لعدوه إذا هاجمه ..

الغارة كالذئب إذا يأس من وجه أغار من وجه آخر ..

حمل السلاح كالنملة تحمل أضعاف وزنها ..

الوفاء كالكلب لو دخل صاحبه النار اتبعه ..

الصبر كالجمل ..

انتهاز الفرصة كالديك ..

واليقظة في الحراسة كالكركي .. [2]

في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (المدثر : ٥١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قَسوَرَة هو الأسد بالحبشية . [3]

وروى الحاكم في المستدرك – وقال : صحيح الإسناد – من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه : أنَّ رسولَ الله ﷺ لما تلى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ (النجم : ١) قال عتبة بن أبي لهب : كفرتُ برب النجم ، فقال رسولُ الله ﷺ : **" اللهم سلِّطْ عليه كلبًا من كلابك ينهشه "** ، فخرج مع أصحابه في عير إلى الشام حتى إذا كانوا بمكان يُقال له الزرقاء[4] زأر أسدٌ فجعلتْ فرائصه[5] ترتعد ، فقالوا له : من أيِّ شيءٍ ترتعد فرائصك ؟ فوالله ما نحن وأنت إلا سواء ، فقال : إنَّ محمدًا دعا عليَّ ، والله ما أظلت

[1] - الخنزير البري وهو حيوان شرس يهاجم في جماعات .
[2] - المستطرف في كل فن مستظرف للإبشيهي .
[3] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
[4] - موضع قرب الشام .
[5] - فرائص : جمع فريصة ، وهي عضلة الصدر ، ويُقال ارتعدت فرائصه أي تملكه خوف شديد .

السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ، فلما جاء موعد النوم أحاطوا أنفسهم بمتاعهم وناموا فجاء الأسد يتهمس[1] ويتشمم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فضغطه ضغطة كانت إيَّاها ، وقال وهو بآخر رمق : ألم أقل لكم إنَّ محمدًا أصدق الناس . [2]

فتدبَّر هذه القصة واعلمْ أنَّ الأسدَ ليس إلا جنديًّا من جند الله تعالى سلَّطه الله على عدوه بصدق دعوته ﷺ التي لا تُرد ، قال تعالى : (﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ**) (المدثر : ٣١) .

في الحديث الشريف :

قال رسول الله ﷺ : **"فِرَّ مِنْ المجزوم فرارك من الأسد "** . [3] وهذا أمر من رسول الله ﷺ بأخذ أسباب الفرار من هذا المرض المعدي كما لو كان يفرُّ من أسد يسعى لافتراسه ، والغريب من أمر هذا الحديث أن الجذام إذا أصاب وجه الإنسان وتمكَّن منه يجعله يشبه وجه الأسد ، لذا يُعرف بداء الأسد ، وهذا يبين وجه الإعجاز في حديثه ﷺ .

وقد حَرَّمَ رسولُ الله ﷺ أكله فقد قال ﷺ : **" حُرِّمَ على أمتي كلُّ ذي مخلبٍ من الطير وكلَّ ذي نابٍ من السِّباع "** .[4] وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي نابٍ من السِّباع [5] ، وهذا الحديث يحمل من وجوه الإعجاز العلمي في تحريم أكل سباع الحيوان وجوارح الطير ؛ فقد ثبت علميًا أن الحيوانات المفترسة تفرز أجسامها هرمونات تساعد الحيوان على التوحش

---

[1] - يتهسس الأسد يصدر صوتًا خافتًا كالهمهمة .
[2] - المستطرف في كل فن مستظرف للإبشيهي - وحياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - رواه البخاري في صحيحه .
[4] - رواه أبوداود في سننه .
[5] - رواه البخاري في صحيحه .

والافتراس ، ويقول د . "سي ليبج" أستاذ التغذية ببريطانيا أن هذه الإفرازات تخرج من جسم الحيوان حتى وهو حبيس في قفصه ، فعندما تُقدَّمُ له قطعة لحم ليأكلها تظهر على وجهه علامات التحفز والإثارة والوحشية ، وقد لُوحظ على الشعوب التي يأكل أفرادها الجوارح والسِّباع أنها شرسة في حياتها الاجتماعية مشتتة تميل طباع أفرادها إلى القتل وغالبًا ما يكونوا من أكلة لحوم البشر. لانتقال هذه الإفرازات إلى أجسامها بأكلها . [1]

كما نهى رسول الله ﷺ عن افتراش جلود السِّباع [2] ، ونهى ﷺ عن لبس جلودها أو الركوب عليها . [3]

وإليك قصة عجيبة وردت في السيرة جمعت بين الأسد وواحد من أصحاب النبي ﷺ وهو سفينة مولى [4] النبي ﷺ ، فعن محمد بن المنكدر رضي الله عنه أنَّ سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال : ركبتُ البحر فانكسرتْ سفينتي التي كنتُ فيها فركبتُ لوحًا من ألواحها ، فطرحني اللوح في أجمة [5] فيها أسد ، فأقبل إليَّ يريدني ، فقلتُ : يا أبا الحارث [6] ، أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه ، وأقبل إليَّ فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق ، وهمهم فظننتُ أنَّه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به [7] – وفي رواية أخرى للبيهقي – عن سفينة رضي الله عنه أنه أخطأ الجيش بأرض الروم فانطلق هاربًا يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا

---

[1] - الإعجاز العلمي في الإسلام : الحديث الشريف – (جـ ٢) – محمد كامل عبد الصمد .
[2] - رواه الترمذي والنسائي والدارمي في سننهم ، وأحمد في مسنده .
[3] - رواه أبوداود والترمذي في سننيهما .
[4] - المولى : الخادم أو المملوك .
[5] - الأجمة : الشجر الكثيف الملتف ، والجمع آجام ، ويُقال : تأجَّم الأسد إذا دخل أجمته .
[6] - كنية الأسد .
[7] - رواه الحاكم في المستدرك ، وقال : حديث صحيح ، والبخاري في التاريخ الكبير ، كما رواه ابن منده والطبراني .

الحارث ، إنِّي مولى رسول الله ﷺ ، كان من أمري كَيْت وكَيْت ، فأقبل الأسد يبصبص [1] حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوته أهوى إليه ، ثم قام يمشي إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم رجع الأسد عنه .

وهكذا أنجاه الله تعالى من هذا الحيوان المفترس ولم يضره كرامة له ولفضله ، ونيله شرف خدمة النبي ﷺ .

وهذا ابن عمر رضي الله عنهما ذلك الصحابي الجليل عامر القلب بالإيمان الذي تحققت له تقوى الله تعالى وخشيته فأعزَّه الله بقوته ، وخوَّف منه جميع خلقه ، فقد روى ابن عساكر عن وهب بن أبان القرشي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنَّه خرج في سفرٍ فبينما هو يسير ، إذا قومٌ وقوفٌ ، فقال : ما بالُ هؤلاء ؟ قالوا : أسد على الطريق قد أخافهم ، فنزل عن دابته ، ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه فعَرَكها [2] ، ثم نفذ قفاه ، ونحَّاه عن الطريق ، ثم قال : ما كذب عليك رسول الله ﷺ ، يقول : **" إنما يُسَلَّطُ على ابن آدم ما خافه ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يَخَفْ إلا الله لم يُسَلِّطْ عليه غيره ، وإنما وُكِّل ابن آدم لمن رجا ابن آدم ، ولو أنَّ ابن آدم لم يرجُ غير الله لم يكله إلى غيره "** [3].

وعن إبراهيم بن أدهم التميمي التابعي الجليل أنه كان في سفرومعه رفقة فخرج عليهم أسدٌ ، فقال لهم إبراهيم بن أدهم : قولوا : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واحفظنا بركنك الذي لا يُرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله ، فولَّى الأسد هاربًا . [4]

---

[1] - بصبص الكلب إذا حرك ذنبه توددًا .
[2] - عرك أذنه : أمسكها بشدة لتأديبه .
[3] - تاريخ دمشق لابن عساكر .
[4] - المستطرف في كل فن مستظرف للإبشيهي .

وقد ارتبط الأسد بقصة نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل ، وهو نبي الله دانيال – عليه السلام – آخر أنبياء بني إسرائيل قبل عيسى عليه السلام ، فقد روى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : رأيتُ في يد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه خاتمًا نَقْشُ فصِّه أسدان بينهما رجل يلحسانه ، قال أبوبردة : هذا خاتم الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال ، وأخذه أبو موسى يوم دفنه – كان أبو موسى الأشعري قد وجده فأخرجه وكفَّنه وصلى عليه ثم قَبَرَهُ في موضعه الذي فيه وجده [1] – قال أبو بردة رضي الله عنه : فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم ، فقالوا : إنَّ الملك الذي كان دانيال – عليه السلام – في سلطانه [2] قتل كل الغلمان بسبب نبوءة جاءه بها المنجمون أنّه يُولد في ليلة كذا وكذا غلام يُفسِدُ ملكَه ، فأخذ جنوده دانيال – عليه السلام – وألقوه في أجمة لأسد كان قد أعدَّها الملك لذلك ، فبات الأسد ولبؤته يلعقانه ولم يضراه ، فنجاه الله تعالى بذلك حتى بلغ ما بلغ فنقشَ دانيال – عليه السلام – صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فصِّ خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه . [3] وروي البيهقي أن دانيال – عليه السلام – طُرِحَ في جُبٍّ [4] وألقيتْ عليه السِّباع فجعلت تتحسَّسه وتبصبصُ إليه ، فأتاه مَلَكٌ فقال : يا دانيال ! فقال : من أنت ؟ قال : أنا رسولُ ربِّكَ أرسلني إليك بطعام . فقال دانيال عليه السلام : الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره .

---

[1] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

[2] - ذكر بعض أصحاب السير وعلماء التاريخ أن هذا الملك هو بختنصر الملك الآشوري ، وقبره بنهر السوس ببلدة خوزستان .

[3] - رواه ابن أبي الدنيا ، وقال : جيد الإسناد ، وذكره ابن كثير في قصص الأنبياء .

[4] - الجُبُّ : البئر .

في المثل العربي :

ضرب العربُ القدماءُ المثل بالأسد في الشجاعة والقوة والبسالة والإقدام ، فقالوا : " **أجرأ من الليث العادي** " [1] ، ويقولون : " **أشجع من ليث عفرِّين** – وهو الأسد الذي تعفَّر من الصراع والقتال – " ، ويقولون : " **أشدُّ من الأسد** ". [2]

وقد كَنَّى النبيُّ ﷺ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أبا حفص وهي كنية الأسد ، كما لُقِّبَ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بأسد الله وأسد رسوله ﷺ ، ولا تزال أسماؤه شائعة الاستخدام فيما بيننا إلى يومنا هذا ، ومنها : **أسامة** ، و**باسل** ، و**حارس** ، و**همام** ، و**عباس** : وهو الأسد الذي تهابه الأسود وتفرُّ منه ، و**عَوْف** : وهو الأسد الذي يطلب الصيد ليلاً .

في الرؤيا :

الأسد في الرؤيا عدوٌ مسلط ، أو سلطان قاهر جبَّار شديد البأس والهيبة ، وربما دَلَّ على الموت ، فإن رآه دخل دارًا لمريض فإنه يموت ، فإن افترسه ظلمه أو نهب ماله ، وإذا حلَّ بمدينة نزلَ بها طاعونٌ ، أو شدةٌ ، أو عدوٌ ، ومن رأي أنه ينازعه أو يقاتله ينازع عدوانًا شديدًا ، فإن واجهه ولم ينازعه يناله فزع وحزن ، ومن ركبه أصاب سلطانًا أو انتصر على عدوه ، فإن فَرَّ منه الأسد نجا من أمر يحاذره ، ومن أكل لحمه أصاب مالاً ، فإن أكل من طعامه ورث مالاً وسلطانًا ، ومن قطع رأسه نال مُلكًا ، أما اللبؤة فمن أكل من لحمها أو شرب لبنها أصاب سلطانًا ومُلكًا ، وجلدُ الأسدِ مالُ عدوٍّ . [3]

---

[1] - مجمع الأمثال .
[2] - المصدر السابق .
[3] - تفسير الأحلام لابن سيرين .

٣-أُيَّـــلُ

حيوان ثديي ينتمي لرتبة آكلات العشب ، وهو حيوانٌ مجترٌّ ينتمي للفصيلة البقرية ، وهو الحيوان الوحيد الذي يحمل قرونـًا من العظم على رأسه ، بينما القرون عند غيره ما هي إلا طبقات قوية صلبة متراكبة من الجلد ، كما أن أهم ما يميزه هو تشعبُ قرنيه وتساقطهما في الخريف لتنمو في الربيع من كل عام وهي تخص الذكور دون الإناث عدا الرنة فلكلا الجنسين قرنان . والأيائل أكثر الحيوانات انتشارًا في العالم فهي تعيش في المناطق الباردة والمعتدلة حيث تغشى السهول ، والغابات ، والمناطق الجبلية ، والمستنقعات ، كما يحيا بعضها في مناطق قاحلة . وتتغذى الأيائل بالنباتات العشبية ، والشجيرات ، ولحاء ، وأوراق الأشجار ، وأفرعها الصغيرة ، والطحالب . وتتباين أحجامها ما بين حجم الفرس وحجم الكلب ، ويبلغ عدد أنواعها نحو ١٠٠ نوعًا أشهرها : أيل المسك ، والأيل الأحمر ، والرنـَّة ... وتتفاوت فترات الحمل بين أنواعها ما بين ٥ – ٩ شهور حيث تضع صغيرًا أو صغيرين ، عدا أيل النهر فهو أكثر أنواع العائلة البقرية توالدًا إذ تضع أنثاه ٥ – ٦ صغار .

في اللغة :

الأُيَّل ، أو **الإِيَّل** : حيوان معروف من ذوات الظلف ، والأنثى : **أَيِّلَةٌ** ، والجمع : **أَيائِلُ** ، و **أَيَايِلُ** .[1]

في الأدب :

أَيَّل المسك – ويسميه الجاحظ : فأر المسك – يقول فيه : إنَّه دويبة تكون في بلاد

[1] - المعجم الوسيط .

التبت بالصين ، وهي إذا صيدتْ رُبطتْ سُرَتُها برباط وهي مدلاه فيجتمع فيها دمها ، فإذا اجتمعت ذُبحتْ ثم تقورُ السُّرَّةُ المعصوبة ، وتُدفَن في الشعير فترة من الزمن فيتحول ذلك الدم المحتقن الجامد إلى مسك ذكيٍّ بعد أن كان نتنًا .[1] والمسكُ ملكُ أنواع ا لطيب وأشرفها ، وتُضربُ به الأمثالُ ، ويُشبَّهُ به غيره ولا يُشبَّهُ بغيره ، وهو كثبان الجنة . فوائده كثيرة فهو جيد للغشي وضعف القوة ، ويبطل عمل السموم ، وينفع من نهش الأفاعي ، وهو من أقوى المفرِّحات .[2]

وأيلُ المسك حيوان صغير الحجم يشبه الأرنب في صغر حجمه ، وطول أذنيه ، وقصر ذنبه ، وفرائه الصوفي الغزير – لذا سمَّاه الجاحظ : فأر المسك – وللذكر أنيابٌ عليا نامية طولها نحو ٧.٥ سم ، وليس للجنسين قرون ، ويألف الحيوان المنحدرات الشجرية ، ومرتفعات أواسط آسيا ، وينتشر كذلك غرب التبت ، وهو حيوان ليلي يحب العزلة يتغذى بالحشائش وأوراق الأشجار ، وقد اكتسب اسمه وشهرته من وجود غدة على جدار بطن الذكر تنمو في موسم التزاوج تفرز مقدار أوقية[3] من المسك ، لذا تُصادُ الذكور البالغة للحصول على هذه الغدة ، وتستخدم في صناعة العطور ، ويعد صيده عملاً شاقًا ؛ لأنه شديد الحذر ، وله قدرة كبيرة على التخفي بين الأشجار والشجيرات .

في الحديث الشريف :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال :" **أطيبُ الطيبِ**

[1] - الحيوان للجاحظ – نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .
[2] - الطب النبوي لابن القيم .
[3] - الأوقية : وحدة للوزن تساوي ٢٧ جرامًا ، والكيلو يساوي ٢٧ أوقية .

المسكُ " .[1] وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كنتُ أطيِّبُ النبيَّ ﷺ قبل أن يُحرِمَ ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيبٍ فيه مسك .[2]

ويقول الإمام النووي – رحمه الله – : أجمع الفقهاء على أن المسك طاهر يجوز استعماله في البدن والثوب ، وكذلك بيعه ، ويقول : المسك محكوم بطهارته ؛ لأنه يستحيل عن كونه دمًا حتى يصير مسكًا كما يستحيل الدم إلى اللحم فيطهر ويُؤكل .[3]

في الرؤيا :

يُؤول الأَيَّل في الرؤيا أنَّهُ رجل غريب له رياسة في بعض الجبال والثغور ، ومن رأى كأن رأسه تحول إلى رأس أَيَّل نال رياسة وولاية .[4]

٤– بُـــــرْصُ

البرصُ حيوان صغير من الزواحف ينتمي لرتبة السحالي ، يعيش منه في مصر- ما يقرب من ١٣ نوعًا ، تعيش في الصحاري ، والمناطق الصخرية ، والبيوت الخربة المهجورة ، كما تشارك الإنسان في سكناه فتختبئ في شقوق الجدران وقطع الأثاث ، وهي ليلية النشاط تتغذى بالحشرات الصغيرة .

ويُشاعُ بين الناس على سبيل الخطأ وجود علاقة بينه وبين مرض البَرَص ، وقد ثبت أن هذا الاعتقاد ليس له أساس من الصحة ، كما أن الأبراص جميعها غير سامة عدا نوعًا واحدًا يعيش بالمكسيك .

وأهم ما يميز الأبراص براعتها في تسلق الأسطح الملساء وقدرتها على فصل ذيولها

---

[1] - رواه مسلم في صحيحه ، والترمذي والنسائي في سننيهما ، وأحمد في مسنده .
[2] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .
[3] - صحيح مسلم بشرح النووي .
[4] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٦٣) .

عن أجسادها عندما تستشعر الخطر من مفترسيها لتنمو لها أخرى غيرها .

في اللغة :

يُعرف في اللغة بـ : **الوَزَغ** ، والأنثى : **وَزَغَة** ، ومن أنواعه كبيرة الحجم : **سامُّ أبرص** (بتشديد الميم) ، أما **البُرَيْصَة** : فهي دابة صغيرة دون الوزغة إذا عضّت شيئًا لم يبرأ .[1]

في الحديث الشريف :

أمر رسول الله ﷺ بقتله ، فعن أم شريك رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ أمر بقتل الأوزاغ وسمَّاه فويسقة .[2] وقال رسول الله ﷺ : " **مَنْ قتلَ وزغة في أول ضربة – أو قال : في الضربة الأولى – فله عشر حسنات** " [3] – وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " **من قتل وزغة في أول ضربة له سبعين حسنة** " [4] ، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **اقتلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم** " ، فكانت عائشة رضي الله عنها تقتلهن " ،[5] وعنها رضي الله عنها ، قالت : دخل رسول الله ﷺ وفي يده عكاز فيه زُجٌّ [6] ، فقال : " **يا عائشة ما تصنعين بهذا ؟** " ، قلتُ : اقتُلُ به الوزغَ في بيتي ، فقال ﷺ : " **إن تفعلي ، فإن الدوابَّ كلها حين أُلقيَ إبراهيم في النار كانت تطفئُ عنه ، وإنَّ هذا كان ينفخُ عليه** "[7] ، وعنها أيضًا : قال رسول ﷺ : " **إنَّ إبراهيم لمَّا أُلقيَ في النار جعلت**

---

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .
[2] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .
[3] - رواه مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، والترمذي في سننه .
[4] - رواه مسلم في صحيحه .
[5] - رواه أحمد في مسنده .
[6] - الزُجُّ : حديدة في أسفل الرمح .
[7] - رواه أحمد في مسنده .

الدوابُّ كلها تطفئ عنه إلا الوزغ ، فإنه جعل ينفخُ عليه " [1].

أما حكمه فهو تحريم أكله لاستقذاره وللأمر بقتله [2].

في الأدب :

قيل أَنَّهُ لا يدخل بيتًا فيه زعفران ، وقيل : إن الحيات تألف الأبراص ، وقيل أَنَّهُ إذا شاخ وتقدَّم في السن نتج عنه سمٌّ قاتل ، وقيل أَنَّه إذا قُتل ووُضع على موضع جحر حية هربت منه [3].

في الرؤيا :

يُؤول البرص في الرؤيا أنَّه رجلٌ خاملٌ ضالٌ يأمرُ بالمنكر وينهى عن المعروف [4]. وقيل : هو فاسق يمشي بالنميمة ، وقيل : يدلُّ على فقر وتهم [5].

٥- بُرْغُوثٌ

حشرة تنتمي لرتبة خافيات الجناح من عائلة البراغيث ، وهي من الحشرات الضارة الناقلة لمرض الطاعون القاتل ، وهي حشرات ذات أفواه ثاقبة ماصَّة تتغذى بها على دماء الإنسان والحيوان ، وتضع الأنثى ٨ – ١٢ بيضة لزجة في حجم رأس الدبوس بين كتل الخشب القديمة ، والملابس المهملة ، وتحت الفرش المتسخة .

---

[1] - المصدر السابق .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - نهاية الأرب (جـ ١) للنويري – الحيوان للجاحظ .
[4] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٨١) .
[5] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

في اللغة :

البُرغُوثُ (بضم الباء والغين وسكون الراء) معروف والجمع : **بَرَاغِيث** .[1] وكنيته : **أبوطافر** و**الوثَّاب** .[2]

في الأدب :

قال الأبشيهي : هو أسود أحدب ، وهو يثب ولا يطير ، ويتوالد في التراب ويشتد أذاه في أواخر الشتاء والربيع ، وإذا اشتد عليه الحرُّ مات .[3]

ويقول الشاعر في وصفه :

تطاول بالفسطاط[4] ليلي ولم يكن	**بوادي الفَضَى[5] ليلي عليَّ يطول**
ؤرقني حُدْبٌ قِصَارٌ أذلَّةٌ	**وإنَّ الذي يُؤذينه لذليل**
إذا جَلَبّتْ بعض الليالي منهن جولةً[6]	**تعلقنَّ في رجلي حيث أجول**
إذا ما قتلناهن أضعفن كثرة	**علينا ولا يُنعَى لهن قتيل**
ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة	**وليس لبرغوثٍ عليَّ سبيل**

في الحديث الشريف :

نهى رسولُ الله ﷺ عن سبِّ البراغيث ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ سمع رجلاً يسبُّ برغوثًا فقال ﷺ : " **لا تسبُّه فإنه أيقظ نبيًا لصلاة الفجر** " .[7] وعنه رضي الله عنه قال ذُكِرتْ البراغيثُ عند رسول الله ﷺ فقال :

---

[1] - المعجم الوسيط (١ / ٥٠) .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - المستطرف للأبشيهي – نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[4] - الفسطاط : بيت يُتخذ من الوبر على شكل خيمة .
[5] - وادي الفضى : الخلاء أو المكان الواسع .
[6] - الجَوْلُ : الكيس الضخم كما يُقال في القطيع ذو العدد من الماشية .
[7] - رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأحمد في مسنده ، والبزار في مسنده ، والطبراني في الدعوات .

"إنَّها تُوقِظُ للصلاة – أي صلاة الفجر " [1].

ورُويَ أنَّ عامل إفريقيا اشتكى إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كثرة البراغيث ولدغها بالليل ، فكتب إليه عمرُ يقول : إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقرأ : ﴿ **وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾** ﴾ (إبراهيم : ١٢) [2].

وفي الفقه دم البراغيث ما قل منه أو كثر ليس بنجسٍ إلا إذا جاوز حد العادة في الثوب [3]. وقد سُئِلَ الإمام مالك – رحمه الله – عن البرغوث من يقبض روحه ، أله نفسٌ ؟ قال : نعم ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾ (الزمر : ٤٢) [4].

في المثل العربي :

قال العرب : **" طامرٌ بن طامرٌ "** يقصدون البرغوث ، والطامر بمعنى القافز الوثاب من طَمَرَ بمعنى وَثَبَ ، وكان يُقال لمن لا يُعرف له أبًا ولا يدري ما أصله على سبيل الذم [5].

في الرؤيا :

البرغوثُ إذا كان واحدًا يؤول في الرؤيا رجلاً واحدًا مهينًا دنيئًا طعَّانا ، والكثير منها جند الله تعالى [6] ، وقيل أعداءٌ ضعافٌ [7]، ومن رأى برغوثًا قرصه نال مالاً [8].

[1] - رواه الطبراني في معجمه .
[2] - المستطرف للأبشيهي .
[3] - فقه السنة لسيد سابق .
[4] - المستطرف للأبشيهي .
[5] - مجمع الأمثال – حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[6] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧٧) .
[7] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[8] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧٧) .

٦- بَعُــــوضٌ

ينتمي البعوض لرتبة الحشرات من ذوات الجناحين ، وتضم فصيلة البعوض نحو ١٤٠٠ نوعٍ ، ينتشر منها في مصر ما يزيد على ٣٥ نوعًا ، وأهم ما يميز البعوض أجزاء فمها الثاقب الماص الذي تدفع به من خلال الجلد لتمتص الدماء ، فيختلط الدم أولاً بلعابها الذي يحتوي على مواد تمنع تجلطه ، ثم تسحبه من خلال إبرتها المجوفة فتمتصه ، والإناث دون الذكور هي التي تمتص الدماء ، بينما يتغذى الذكور على رحيق الأزهار والمواد السكرية . والبعوض يتكاثر في مياه البرك والمستنقعات الراكدة ، حيث تضع الإناث بيضها على سطح الماء فيفقس يرقات سابحة ، وأخطر أنواع البعوض على صحة الإنسان : الأنوفيليس الذي ينقل مرض الملاريا ، وأصل الكلمة (مال – إريا) بمعنى الهواء الفاسد ؛ لأن الناس قديمًا كانوا يظنون أن المرض ينشأ عن استنشاق هواء البرك الراكدة وذلك قبل اكتشاف علاقة البعوض بهذا المرض الذي يصيب نحو ٨٠٠ مليون شخص على مستوى العالم يموت منهم بسببه ثلاثة ملايين سنويًا ، كما تنقل بعوضة الكيولكس مرض الفلاريا ، ومرض الفيل .

في اللغة :

البَعُوضُ : حشرة معروفة ، ومنها أتى الفعل : **بَعَضَ** ، فيُقال : بَعِضَ المكان . أي كثُر فيه البعوض ، و **الدَعَامِيصُ** هي صغاره (يرقاته) التي تسبحُ في الماء .[1]

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .

في الأدب :

قيل : من عجيب أمرها أنها شرهة لامتصاص الدماء فربما تمتص دم الإنسان إلى أن تعجز عن الطيران ، أو ينشق جلدها وتموت ، وهي لو قتلت جملاً أو غيره من ذوات الأربع وبقى طريحًا في الصحراء تجتمع حوله آكلات الجيف فتموت لتوها .[1]

والبعوضة قوية الطيران فهي تضرب الهواء بأجنحتها بسرعة كبيرة تصل إلى ٥٥٠ ضربة في الثانية الواحدة وهذا يُحدِثُ صوت الطنين الذي نسمعه عند اقترابها من آذاننا ، والذي يقول فيه الشاعر :

أقولُ لنازل البستان طوبي	**لعيشك لم تشكُ فيه البعوض**
يململه[2] فليس له قرار	**ويثخنه[3] فليس له نهوض**
حَمَاهُ قرصُهُ وطنينه أن	**يبيتَ وعينُه فيها غموض**
كأنكَ حين تهذي بالأغاني	**تكرَّرَ في مسالِك العَرَوض[4]**

وقال غيره :

ـلُ السُّفاةِ دائمٌ طنينُها	**رُكِّبَ في خرُطومها سكينًا**

في القرآن الكريم :

ورد لفظ البعوض في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۝٢٦** ﴾ (البقرة : ٢٦) قال الإمام الرازي في تفسيرها أن الله ضرب بها مثلاً للدنيا ؛ لأن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت

[1] - نهاية الأرب (جـ ١) للنويري – الحيوان للجاحظ .
[2] - ململه : جعله يتقلب على فراشه من الألم .
[3] - أثخنه : أصابه بالجروح .
[4] - العروض : أوزان الشعر .

فهي كهؤلاء القوم الذين ضُرب لهم المثل إذا امتلأوا من الدنيا أخذهم الله عند ذلك بذنوبهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾ (الأنعام : ٤٤)[١] ، وقيل ضُربت كمثال للشيء التافه الحقير ، ويصدِّقُ ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى منها كافرًا شربة ماء** " .[٢]

وعن سعيد بن أبي سعيد قال : سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : " **يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله ، فإن الله لو كان غافلاً شيئًا لأغفل البعوضة والخردلة والذرة** " .[٣] فالبعوضة حشرة صغيرة وهيفة إذ لو جُمِعَ نصف مليون منها لما زاد وزنها عن الكيلو جرام الواحد .

وقد ذكر الزمخشري في تفسيره :

يا من يرى من البعوضَ جناحها	**في ظلمة الليل البهيم الأليل**
ويرى مناط عروقها في نحرها	**والمخ من تلك العظام النُّحَّل**
ويرى خرير الدمِّ في أوداجها	**متنقلاً من مفصلٍ في مفصل**
ويرى وصول غذاء الجنين ببطنها	**في ظلمة الأحشاء بغير تمقل**
ويرى مكان الوطء من أقدامها	**في سيرها وحثيثها المستعجل**
ويرى ويسمع حس ما هو دونها	**في قاع بحر مظلم متهول**
امننْ عليَّ بتوبةٍ تمحو بها	**ما كان مني في الزمان الأولِ**[٤]

[١] - تفسير ابن كثير (٢ / ١٣٤) .
[٢] - رواه الترمذي في سننه ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجة في سننه ، والحاكم في المستدرك وصححه عن سهل بن سعد رضي الله عنه .
[٣] - تفسير ابن كثير (١ / ٦٤) .
[٤] - المستطرف للأبشيهي .

في الحديث الشريف :

ورد لفظ الدعاميص – وهي يرقات البعوض التي تعيش في الماء في الحديث الشريف ، فعن أبي حسان قال : قلتُ لأبي هريرة رضي الله عنه : إنَّه قد مات لي اثنان من الولد ، فهل أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم ، قال رسول الله ﷺ : **" صغاركم دعاميص الجنة ، فيلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بيده أو بثوبه كما آخذ أنا ببعض ثوبك هذا ، فيقول : هذا فلان . فلا يتناهى حتى يدخل هو وأبوه الجنة "** .[1] ويقول الإمام المنذري في كتابه " الترغيب والترهيب " في تفسير الحديث : إن الدعموص دويبة صغيرة تميل للسواد تعيش في الغدران ، وقد شُبِّه الطفل به في الجنة لصغره وسرعة حركته في الجنة لا يمتنع عن بيت فيها ولا موضع .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من أهل العراق سأله عن دم البعوضة إذا أصاب ثوبه هل يصلي فيه أم لا ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ – يعني الحسين رضي الله عنه – وهم يسألون عن دم البعوض .[2]

وللبعوض قصة عجيبة نتبين منها قدرة الله تعالى ونستدل على عدله وحكمته فقد سَلَّطَهُ الله تعالى – وهو أضعف مخلوقاته – ليقهر طاغية من جبابرة الأرض ، فعن مجاهد وابن أبي حاتم أن أول جبار كان في الأرض هو "النمرود" بعث الله عليه بعوضة فدخلت منخره فمكث أربعمائة سنة يُضرب رأسه بالمطارق ، وكان من يرحمه من الناس يجمع يده فيضرب بها رأسه ، وكان قد تجبَّر في الأرض أربعمائة سنة فعذبه الله مثل سنوات ملكه ثم أماته .[3]

---

[1] - رواه مسلم في صحيحه .
[2] - رواه الطبراني في معجمه .
[3] - تفسير القرآن لابن كثير .

في المثل العربي :

قال العربُ : " **أعزُّ من مخِّ البعوض** " وقال : "**كَلَّفْتَنِي مخَّ البعوض** " يُضرب لمن يُكلف بالأمور الشاقة " .[1]

في الرؤيا :

تُؤول في الرؤيا جميع الحشرات المؤذية أنها أعداء على قدر نكايتها وأذاها .[2]

٧- بَغَـــــلٌ

البغل حيوان مُهجَّن متولد من حمار وحصان ، وهو حيوان صبور يتحمل مشاق العمل ويقاوم الأمراض ، وهو إنْ نتجَ عن تزاوج حمار وفرس كان كبير الحجم قوي العضلات أشبه أمه ويُعرف بالنغل ، وإنْ كان ناتجًا عن حصان وأتان – وهي أنثى الحمار – كان دقيق الجسم سريع الحركة أشبه أمه ويُعرف بالبغل .

في اللغة :

البَغْلُ : بين الحمار والفرس ، والجمع : **بِغَال** ، وصوته : **الشَّحِيج** .[3]

في الأدب :

قيل : هو أطول عمرًا من الحصان والحمار وأصبر منهما ، ومن صفاته رداءة الأخلاق وأنَّه يألف أي دابة .[4] والبغل لا ينجب ، وقيل أنَّ البغل لا يعيش له ولد

[1] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[2] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٨٢) .
[3] - الإفصاح في فقه اللغة .
[4] - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .

وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة ولدٌ وليست بعاقر .[1] وروي ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عليٍّ رضي الله عنه أنها كانت تتناسل فدعا عليها إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ لأنها كانت تسرع في نقل حطب النار للمنجنيق عندما أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار في زمن "النمرود" .

وقيل أن أول من قام بإنتاج البغال – من حصان وأتان – هو "قارون" ، وقيل هو "أفريدون" أحد ملوك الفرس .[2]

أما النغل – من حمار وفرس – فقد نُهِيَ عن توليده فقد روي أبوداود في سننه أن الرسول ﷺ نهى أن ينزو الحُمُرُ على الخيل ، وقال : **" إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون "** .[3]

ومن صفات البغال أنَّ إناثها أجمل من الذكور ، وكان يركبها الرؤساء ، والقضاة ، والعلماء ، وكانوا يفضِّلون الإناث في ذلك ، وكان المغاربة لا يركبون الذكور ، ويقول الشاعر في ذلك :

عليك بالبغلة دون البغل ... فإنها جامعة للشمل

مركب قاضٍ وإمام عادل ... وعالم وسيد وكهل

تصلح للرحل وغير الرحل [4]

ويقول الجاحظ : إنَّها نزلت عن خيلاء الخيل وذلة الحمير ، وقال : أفضل البغال طويلة العنق ، قليلة شعر الذنب ، خفيفة شعر الناصية ، ولا يستغني عنها محارب ولا رجل

[1] - المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي .
[2] - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .
[3] - رواه أبوداود في سننه .
[4] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .

في السلم .[1]

في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ (النحل : ٨) ويقول الشيخ الشعراوي في تفسيره أنَّ الآية القرآنية فيها نسقٌ بديعٌ في ترتيب ذكر الدواب الثلاثة ، يجعل البغال تتوسطها لأنها وسط بين الجنسين :الخيل والحُمُر ، وليس لها جنس قائمٌ بذاته ، كما تشير الآية إلى الغرض الذي خلقها الله من أجله .

والإسلام لم يدعْ شيئاً دون أن يعلمنا الأدب الإسلامي في التعامل معه ، فعن عبد الله بن أبي إسحاق عن عليٍّ بن ربيعة قال : رأيتُ عليًّا رضي الله عنه أتى بدابةٍ فلما وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، ثم قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) ﴾ (الزخرف :١٣ ، ١٤) [2] ثم حمد الله تعالى ثلاثاً وكبَّر ثلاثاً ، ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمتُ نفسي فاغفر لي ، ثم ضحك ، فقلتُ له : مِمَ ضحكتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه : رأيتُ رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحكَ ، فقلتُ : مِمَ ضحكتَ يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : **" يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال رب اغفر لي ويقول عَلِمَ عبدي أنَّه لا يغفر الذنوب غيري "** .[3] ويمضي النبيُّ ﷺ في تعليمه لنا فيرشدنا إلى ما نقول إذا عثرت بنا الدابة ،

[1] - الحيوان للجاحظ .

[2] - هذا هو دعاء الركوب للدواب ووسائل النقل ، أما السفن فيُقال عند ركوبها : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) ﴾ (هود : ٤١) ..

[3] - رواه أبوداود ، والترمذي ، والنسائي في سننهم .

فقال ﷺ : " **لا تقلْ تعَس الشيطان ، فإنَّه يَعْظُمُ حتى يصيرُ مثل البيت ، ويقول : بقوتي ، ولكن قُلْ : بسم الله فإنَّه يَصْغُرُ حتى يصيرُ مثل الذبابة** " .[1]

كما أوصانا نبيُّ الرحمة ﷺ بالرفق بالدواب عند السفر فلا نحمِّلها فوق طاقتها ، ولا ينام صاحبها عليها إلا غفوة عن قعود ، فقد كان أهل الورع لا ينامون عليها ولا يقفون عليها ، ويُستحَبُ أن ينزلَ عنها غدوة وعشية يروحها بذلك ،[2] فعن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم : " **اركبوها سالمة ، ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فربَّ مركوبةٍ خير من راكبها وأكثر ذكرًا منه** " .[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " **إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر** " .[4]

في الحديث الشريف :

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن بغلة الرسول ﷺ حادتْ عن الطريق نافرة وكادتْ تلقي برسول الله ﷺ على الأرض لما مرَّ بها ببستان لبني النجار دُفِنَ بقربه مشركون .[5] وقال ابن القيم – رحمه الله – في كتابه " الروح " أن بعض أهل العلم قال : من أجل ذلك يذهب الناس بدوابهم التي مَغَلَتْ إلى قبور غير المسلمين ، فإذا سمعتْ الدوابُ عذابَهم في قبورهم أحدث لهم ذلك فزعًا وحرارة تذهب المغل (المغص) ، وقال عبد الله الأشبيلي : حدثني الفقيه أبو الحكم بن برجان – وكان من أهل العلم –

---

[1] - رواه النسائي في سننه ، والحاكم في المستدرك .
[2] - مما رواه البيهقي ، والطبراني من حديث رسول الله ^ .
[3] - رواه أحمد في مسنده .
[4] - رواه أبوداود في سننه .
[5] - الحديث رواه مسلم في صحيحه .

أنهم دفنوا ميتًا بأشبيلية فلما فرغوا من دفنه جلسوا يتحدثون ودابة ترعى قريبًا منهم فإذا بها قد أقبلتْ مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنما تسمع ثم ولَّتْ نافرة ثم عادت إلى القبر ففعلتْ كما فعلت أول مرة ثم فَرَّتْ هاربة وهكذا مرة بعد مرة ، فقال أبو الحكم فذكرتُ عذاب القبر وقول النبيِّ ﷺ : **" إنهم ليعذبون عذابًا تسمعه البهائم "** .[1] فكل ما خلا الإنس والجن يسمع عذاب القبر لأن كل ما عداهما غير مكلف ، كما أن هذا من رحمة الله بنا فكثيرٌ من الخلق يموتون من صوت الرعد القاصف أو الزلازل وهي أدنى من صيحة المَلَكِ وضربه للكافر بمقامع الحديد في القبر .[2]

وكا ن جبريل عليه السلام يأتي ممتطيًا بغلة بيضاء فقد مرَّ يومًا راكبًا بغلة والمسلمون يتجهزون لقتال اليهود ، رُوي أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بنفرٍ من أصحابه بالصورين[3] قبل أن يصل إلى بني قريظة وذلك عندما أمره الله بقتالهم ، فقال ﷺ : **" هل مرَّ بكم أحدٌ ؟ "** قالوا : يا رسول الله ! قد مرَّ بنا دحية الكلبي – صحابيٌّ جليل كان من أحسن رجال عصره صورةً وكان جبريل عليه السلام يأتي على هيئته – على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله ﷺ : **" ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم "** .[4]

حكمه :

يحرم أكله لما رواه جابر رضي الله عنه قال : ذبحنا يوم حنين البغال ، والحمير ، والخيل

[1] - رواه الطبراني في معجمه وحسَّنه الألباني .
[2] - الروح لابن القيم .
[3] - موقع قرب المدينة .
[4] - السيرة النبوية لابن هشام .

فنهانا رسول الله ﷺ عن الحمير والبغال ، ولم ينهانا عن الخيل .[1] كما نهي عنه لأنه متولد بين ما يحل (الحصان) وما يحرم (الحمار) ، فإن تولد بين حمار وحشي- وفرس حلَّ ، أما ما ورد عن الترخيص بأكله فيما رواه البزار بإسناد صحيح عن أبي واقد أن قومًا لهم بغل ولم يكن لهم شيء غيره فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فرخَّصَ لهم فيه فهو محمول على أنهم كانوا مضطرين يحل لهم أكل الميتة .[2]

بغلات النبيِّ صلى الله عليه وسلم :

كان النبيُّ ﷺ له بغلة شهباء[3] يُقال لها دُلدُل أهداها له المقوقس لم يكن في العرب يومئذ غيرها ، وهي أول بغلة رُؤيت في الإسلام ، ويُقال أنها ظلت حتى زمن معاوية رضي الله عنه ، وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف وسير الصحابة رضوان الله عليهم ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال : "أُهدِيَ لرسول الله ﷺ بغلة شهباء فهي أول شهباء كانت في الإسلام فبعثني رسول الله ﷺ إلى زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، فأتيته بصوف وليف ثم فتلتُ أنا ورسول الله ﷺ لها رَسَنًا [4] وعذارًا [5] ثم دخل البيت فأخرج عباءة مُطَرَّفَة [6] فثناها ثم ربَّعَها [7] على ظهرها ثم سَمَّى وركب ثم أردفني خلفه .[8] ورُوي أن فروة بن عمرو الجذامي – رضي الله عنه – أهدى للرسول ﷺبغلة يُقال لها فِضَّة فوهبها لأبي بكر – رضي الله عنه – وكان له بغلة يُقال لها الأيلية أهداها له ملك أيلة ، فكانت بغلات الرسول ﷺ سبعًا هي دُلدُل ، وفِضَّة ، والأيلية ، وبغلة أهداها له كسرى ، وبغلة بعثها له صاحب دومة الجندل ، وبغلة

---

[1] - رواه الترمذي وأبوداود والنسائي وابن ماجة في سننهم ، وأحمد في مسنده .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - الأشهب : الذي يخالط بياضه السواد .
[4] - الرَّسَن : الزمام
[5] - عِذار : ما يكون على خد الدَّابة من اللجام .
[6] - المطرف : رداء أو ثوب مربع ذو أعلام .
[7] - ربَّعها : ثناها مرتين .
[8] - رواه ابن سعد في الطبقات .

أهداها له يُحَنَّه بن روبة ، وبغلة أهداها له النجاشي صاحب الحبشة .[1]

في المثل العربي :

قيل : " **أعقر من بغل** " ، و" **أعقم من بغل** " لمن لا ينجب .[2]

في الرؤيا :

يجري تأويله في الرؤيا كما يلي : إن كان بغلاً عاريًا فرجل لا حسب له ولا أصل أو رجل من رجال الكدِّ والسفر ، فمن ركبه فإنه يسافر أو يقهر عدوًا كائدًا ، فإن رأته امرأة مُسْرجًا وهي آخذة بلجامه تزوجت ، كما يدل ركوبه على طول العمر ، والبغلة المُسْرجة امرأة دنيئة الأصل أو عاقر ، والشهباء منها الجميلة ، وركوب البغلة زواجًا أو سفرًا فإن ركوبها مقلوبة فامرأة حرام ، وشرب ألبانها عسر وهول وشدة .[3]

٨- بَقَـــرٌ

من الثدييات آكلة العشب مشقوقة الحافر ، التي تنتمي إلى الفصيلة البقرية ، استأنسها الإنسان من قديم الزمن لينتفع بلحمها ولبنها ، كما يُستفاد بجلودها وأظفارها وقرونها ، علاوة على استخدامها في أعمال الزراعة ، ويستطيع الثور الواحد جرَّ ثلاثة أمثال وزنه . والأبقار حيوانات مجترة فهي تلتهم غذاءها سريعًا ثم تجترها حيث تعيد مضغها على مهل ، وهي قدرة منحها الله لهذه الحيوانات حيث تأكل في مراعيها بسرعة وسط أعدائها من الحيوانات المفترسة ، ثم تلجأ إلى مكان آمن لتجترها بعيدًا عن الخطر . وهي تلد بداية من عامها الثاني وحتى خمس عشرة سنة ، تلد في كل عام مولودًا واحدًا بعد فترة حمل تبلغ ٢٨٥ يومًا ، وتعيش نحو ١٨ عامًا .

---

[1] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري – المستطرف للأبشيهي .
[2] - مجمع الأمثال .
[3] - تفسير الأحلام لابن سيرين .

في اللغة :

البقـــرةُ : اسـم جنـس يُطلـق على الـذكـر والأنثى ، والجمــع : **بَقـــرٌ** ، و**بَقــَراتٌ** ، و**الثَّوْرُ** : هو ذكر البقر ، والجمع **ثِيرَانٌ** .[1]

وسُــمِّيَ ثــورًا لأنــه يثــيرُ الأرض أي يحرثهـا ، كـما سُميــت البقــرة لأنهـا تبقــرها أي تشقها.[2]

ويُسمَّى وليد البقرة : **طـَلا** ، ثـم يُعـرف **بـالتبيع** في أول سنة ، كـما يُعـرف ولـد البقـرة بالعجـل ، والأنثى : **عِجْلـَة** ، ويُعـرف صـوت البقـرة **بـالخوار** .[3] والبقـرمن الماشـية ، و**الماشية** اسم يُطلق على البقر والإبل والغنم ، والجمع : **مواشي** ، وقـد سُـمِّيتْ ماشـية لرعيها وهي تمشي ، وقيل لكثرة نسلها .[4]

في الأدب :

قيل : البقر يحب الماء الصافي ، ويُقال أن البقرة تحمل تسعة أشهر ، وإذا مات ولـدها أو ذبح لا يسكن لها خوار ولا يدر لبنها فكان الرعـاة يسـلخون جلـد ولـدها ويحشـونه ويضعونه أمامها فتدر له .[5]

والغريب أن كل ذكور الحيوانات صوتها أغلظ من إناثها إلا البقـرة فهـي أجهـر صوتـًا من ذكورها .[6]

ويقول شمس الدين بن دانيال في وصفها :

للهِ عجلـــةُ خُيَّـــس[7]   **صـفـــــراءُ ذاتُ دلال**

[1] ـ الإفصاح في فقه اللغة .
[2] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] ـ الإفصاح في فقه اللغة .
[4] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[5] ـ نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[6] ـ المستطرف للأبشيهي .
[7] ـ بقر الخيس : بقر يمتاز بطول الرقاب وقرونه هلالية الشكل وكثرة اللبن وهو يكثر بأرض مصر (حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢١٤/١) .

تريكَ عينـــي مهـاة [1]	مـن تحـت قـرني غـزال
قد سُربلتْ [2] بأصيـل [3]	وتُــوجــتْ بهـــلال

في القرآن الكريم :

وردَ ذكرُها في مواضعٍ عـدة ، وسَمَّى الله تعـالى أطـول سـورة في كتابـه الكـريم باسمهـا ، كما أشير إليها لفظيًـا وضمنيًـا في مـواضـع كثـيرة في كتــاب الله ، فقـال تعـالى : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ۝١ ﴾ (المائدة : ١) يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره أن البهيمة – والبقر منها – مشتقة من الفعل (بَهِـمَ) في صيغـة اسم الفاعـل واسم المفعـول معًـا ، وقـد سُمِّيـتْ كـذلك لأن أمورهـا مجهولـة مبهمـة علينـا لا نعلـمُ مدلول حركاتها ، أو إشاراتها ، أو لغتها .

كما ذُكرتْ ضمن الأنعام التي تُقَسَّم إلى أربعة أجناس كما اوضحت الآية الكريمة : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٤٣ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٤ ﴾ (الأنعـــام : ١٤٣ ، ١٤٤) فالأنعام هي : الضأن ، والمعز ، والإبل ، والبقر ، وتتعدَّد منافعها جميعًا . [4] لذا دعا الله تعالى في كتابه الكريم الإنسانَ إلى تربية الحيوان الذي سخَّره له ، فقال :

---

[1] - المها : نوع من بقر الوحش يُوصف بجمال العينين .
[2] - تسربل بالسربال لبسه ، والسربال كل ما يلبس من ملبس ودروع .
[3] - الأصيل : وقت غروب الشمس حيث تكتسب الشمس لون أصفر ذهبي هو لون البقرة التي يصفها الشاعر .
[4] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ١٨٧) .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ (طـــــه : ٥٣ ، ٥٤) ، ويقـول صـاحب كتـاب " دنيـا الزراعـة والنبـات " أنَّ الآيـة الثانيـة تشـير إلى ضرورة اتجاه الإنسـان إلى تربيـة الحيـوان ، وتنميتـه ، والمحافظـة عليـه ، إذ تـأمر الآيـة الشريفة الإنسان أن يأكل مـن النباتـات التـي أخـرجهـا الله لـلإنســان ويـرعـى فيهـا ماشيته ، وجاء الله تعالى بلفـظ (ارعـوا) مـن الفعـل (رَعَـى) وهـو فعـل يشـمل كـل الوسائل اللازمة لتربية الحيوان من تغذيته ، والاهتمام بحركتـه ، والمحافظـة عليـه أثنـاء رعيه ، ومباشرته بالسقي وانتقاء المرعى .[1]

والبقر يتصدر جميع الأنعام في إنتاج اللبن ، ويقـول الله تعـالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (النحل : ٦٦) فالآية الكريمة توضح قدرة الله في خلق هذا اللبن بهذا النقاء والصفاء ، وهو يخرج مـن بين فرث وهو الطعام المهضوم ، والدم ، فبعد انهضام الطعام في الأمعاء يمرُّ عبر جدار الأمعـاء إلى الـدم عـن طريـق الشـعيرات الدمويـة التـي تـبطن جـدار الأمعـاء الدقيقـة ليواصل مشواره مع الدورة الدموية إلى القلـب الـذي يضـخه إلى سـائر أعضـاء الجسـم ومن هذه الأعضاء التـي يُضـخُ إليهـا الـدم هـي الغـدد الثدييـة التـي تفـرز اللـبن والتـي تتغذى بالدم .[2] ويقول الإمـام النـووي – رحمـه الله – : اللـبنُ المطلـقُ أنفـعُ المشروبات للبـدن الإنسـاني لمـا يجتمـع فيـه مـن التغذيـة ، والدمويـة ، ولاعتيـاده حـال الطفولـة ، وموافقته للفطرة الأصيلة ، فقد ورد في الصحيحين أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسـلـم

[1] - الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية (ص ٣١٤) – د . أحمد مصطفى متولي .
[2] - الإعجاز العلمي في الإسلام : القرآن الكريم – محمد كامل عبد الصمد .

أُتِيَ ليلة أُسريَ به بقدح من خمر ، وقدح من لبن ، فنظر إليها ثم أخذ اللبن ، فقال جبريل عليه السلام : الحمد لله الذي هداك إلى الفطرة ، لو أخذتَ الخمر لغوت أمتك .[1] وما من طعام يُرزقه الإنسان إلا ويدعو أن يُرزقَ خيرٌ منه إلا اللبن فلا خير منه ، فقد روي الترمذي في سننه مرفوعًا إلى النبيِّ ﷺ أنه قال : " **من أطعمه الله طعامًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خير منه ، ومن سقاه الله لبنًا فليقلْ اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنِّي لا أعلم ما يُجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن** " .[2] كما شـرَّفه الله فجعله شرابًا لأهل الجنة وفجَّرَ منه أنهارًا ، قال تعالى : ﴿ **مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ** ﴿١٥﴾ ﴾ (محمد : ١٥) .

كما يعد البقر مصدرًا أساسيًا للحم الذي أحلَّه الله لعباده لذا يخاطب الله عبادَه الذين حرَّموا مثل هذا الطعام على أنفسهم بالنهي ، فقال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ** ﴿٨٧﴾ ﴾ (المائدة : ٨٧) ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ** ﴾ (النحل : ١١٦) فقد حرَّم الإسلام المذاهب النباتية ، وقد أكدت البحوث العلمية أنَّ النباتيين عرضة للإصابة بأمراضٍ عديدة منها : الهزال ، وفقر الدم (الأنيميا) ، فالطفل المولود في الشعوب النباتية أقل وزنًا من أطفال الشعوب الأخرى ، فاللحوم ضرورية كغذاء لحتوائها على البروتينات اللازمة لبناء الجسم ، ولكي يحصل هؤلاء النباتيين على كمية مناسبة لأجسامهم من البروتينات لابد لهم من تناول كميات ضخمة من النباتات مما

---

[1] - رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .
[2] - رواه الترمذي في سننه ، وقال : حديث حسن ، وهذا الحديث فيه ضعف وتقوية الشواهد .

يُؤدي إلى إجهاد الجهاز الهضمي الذي لم يُخلق في الإنسان ليناسب هذا الغرض ، فأمعاء الإنسان أقصر كثيرًا من أمعاء آكلات العشب ، كما أن الزائدة الدودية التي تقوم بدور أساسي في هضم النباتات لدى آكلات العشب نجدها مضمحلة في الإنسان وكثيرًا ما تلتهب وتُستأصل إذا دخل فيها شيء من ذلك .

ويقول الإمام النووي – رحمه الله - : لحم العجل ولاسيما السمين من أعدل الأغذية ، وأطيبها ، وألذها ، وأحمدها ، وهو حار رطب وإذا انهضم غذّى غذاءً قويًا وهو الغذاء الذي كان يتفضل بتقديمه أبو الضيفان إبراهيم - عليه السلام – لضيفه وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الذاريات : ٢٦) وقال تعالى : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ (هود : ٦) والحنيذ هو المشوي على الحجارة المحماة (الفحم المشتعل) ، ويقول الإمام النووي : هو أنفع الشواء بعد الضأن الحولي [١] ، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قُرِّبَتْ إلى رسول الله ﷺ جنبًا مشويًا فأكل منه ثم قام إلى الصلاة ولم يتوضأ [٢].[٣]

وفي الحديث الشريف ما رواه أبوالدرداء رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال : **" سيدُ طعامِ أهلِ الدنيا وأهل الجنة اللحم "** .[٤] ومن شرف هذا الطعام أنه أول ما يُقدم لإطعام أهل الجنة ، قال رسول الله ﷺ : **" إن أهل الجنة ، حين يدخلونها ، يُنحرُ لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ، ويأكلون من زيادة كبد الحوت "** .[٥]

وقد حرَّم الله تعالى على بني إسرائيل بعضًا منه عقابًا لهم على ما اقترفوه من إثمٍ

---

[١] - الشاة مرَّ عليها سنة .
[٢] - رواه الترمذي في سننه ، وقال : حديث شريف .
[٣] - الطب النبوي لابن القيم .
[٤] - رواه ابن ماجة في سننه ، وهو حديث ضعيف .
[٥] - رواه مسلم في صحيحه .

وجحود ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ** ﴾ (الأنعام : ١٤٦) قال السديُّ : (**الشحم**) هنا هو الثَّرب وهو شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء ، وقال قتادة : هو الثَّرب وكل شحم ليس فيه عظم . واستثنى من التحريم ﴿ **إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ** ﴾ يعني ما علق بالظهر من الشحم ، و﴿ **ٱلْحَوَايَآ** ﴾ وهو ما حواه البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن أي الضروع ، والمباعر وهي مواضع إخراج الفضلات فيها وتسمَّى كذلك المرابض ، و﴿ **مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ** ﴾ مثل شحم الإلية وهو موضع يجتمع فيه الدهن في مؤخرة جسد الشاة فقد كان محللاً لأنه شحم اختلط بعظم العصعص ، ويقول ابن جرير : كما أحلَّ الله لهم القوائم ، والجنب ، والرأس ، والعين ، أمَّا غير ذلك من الشحم والدهن فهو محرم عليهم .[١] فخالفوا أمر الله تعالى إلا قليلاً منهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله ﷺ كان قاعدًا خلف المقام فرفع بصره إلى السماء ، وقال : " **لعن الله اليهود ثلاثًا ، إنَّ الله حرَّم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها ، وإنَّ الله لم يُحرِّمْ على قوم أكل شيء إلا حرَّمَ عليهم ثمنه** " .[٢]

وإليك قصة أشهر بقرة عرفها التاريخ وهي بقرة بني إسرائيل التي وردت لها قصة في كتاب الله تعالى ، ويكفيها شرفٌ أن الله سمَّى بها أطول سور كتابه العظيم .

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ**

[١] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٨٩/٢) .
[٢] - رواه أبوداود في سننه .

أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ (البقرة : ٦٧ – ٧٣)

وتروي القصة أحداثًا لرجلٍ من بني إسرائيل كان غنيًّا ولم يكن له ولد وكان له قريبٌ ، وكان قريبه هذا وارثه ، فقتله ليرثه ثم ألقى جثمانه على باب المدينة خفية فأصبح أهل المدينة ليروا على باب مدينتهم القتيل ، فجاء موسى عليه السلام وقومه فقال رجل منهم لموسى عليه السلام : أنت نبيُّ الله فسلْ لنا ربك يبين لنا ، فسأل موسى – عليه السلام – ربه فأوحى إليه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ ﴿٦٧﴾ (البقرة : ٦٧) يشير الله تعالى إلى أي بقرة بغير تحديد لواحدة بعينها ، فعجبوا من ذلك وسألوه عن وصفها وتشددوا في السؤال ، وبحثوا عن البقرة ذات الوصف الذي حدده الله تعالى ، والتي ذكرها في كتابه الكريم ، فقال تعالى : ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ ﴿٦٨﴾ (البقرة : ٦٨) [1] ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله – : إن الفارض في اللغة بمعنى الواسع وعندما يُشار بهذا المعنى إلى وصف عمرها

[1] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١١٠) .

نستدل على أنها ليست صغيرة السن ؛ لأن البقرة بتعرُّضها للحمل الكثير يتسع موضع الضرع والبطن ، وعندما تكون البقرة واسعة البطن يُعرف أنها مسنَّة ووُلدت كثيرة ، أما البكر فتعطي عكس الوصف السابق فهي التي لم يطأها الفحلُ ، أو التي أبكرت أي ولدت مرة واحدة فقط ، وعلى هذا يكون الوصف القرآني لها في موضع وسط بين الوصفين .[1]

كما قال الله تعالى في وصفها : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (البقرة : ٦٩) فقد أثبت الطب البيطري أن خير الأبقار وأفضلها صحة ما كان لونُها شديد الصفرة في صفاء ، حيث أن صحة البقرة تُقاس بنقاء لونها وسلامة أسنانها ، كما ثبت علميًا أن اللون الأصفر أسهل الألوان في الملاحظة فهو لا يُرهق العين لأنَّه يتجمَّع مباشرةً على شبكية العين دون مجهود كبير وهذا يُفسر قوله تعالى : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ويُوضح مدى الإعجاز فيه .[2]

كما قال الله في وصفها : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ ﴿٧١﴾ ﴾ (البقرة : ٧١) والذلول هي البقرة التي تم ترويضها لتؤدي مهمتها ، فتكون البقرة المُشار إليها هنا قد انتفت عنها هذه الصفة فهي لا تخضع لقيادة أحد ، ولا تُستخدمُ في حراثة الأرض أو إدارة السواقي لسقاية الزرع ، وقوله : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ ﴾ أي لا عيب فيها ، فهي خالية من العيوب ، ليست أذنيها مثقوبتان كلتاهما أو أحداهما ، ولا تحمل أي علامة يميز بها الناس أبقارهم ، ولونها واحد ليس

[1] ـ تفسير الشعراوي .
[2] ـ الإعجاز العلمي في الإسلام : القرآن الكريم – محمد كامل عبد الصمد .

به بقعًا أو لونـًا مغايرًا [1] . وظلُّوا يبحثون عنها فلم يجدوها إلا عند عجوزٍ على يتامي ، فلما علمتْ أهمية البقرة ضاعفت من ثمنها فلما أخبروا موسى عليه السلام قال لهم : إنَّ الله خفَّفَ عليكم فشدَّدتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها ، ففعلوا واشتروها فذبحوها فأمرهم موسى أن يأخذوا عظمًا منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فردَّ الله إليه روحه وسمَّى قاتله ثم عاد ميتًا كما كان ، وقيل كان هذا الجزء من جسمها هو لسانها [2] . ويذكر الشيخ الشعراوي – رحمه الله – في تفسيره : إنَّ هذه البقرة كانت عند رجلٍ صالح من بني إسرائيل وعندما حضرته الوفاة جمع زوجته وابنهما الصغير ، ولم يكن له ما يورِّثه سوى هذه البقرة فاتجه إلى الله وقال : اللهم إنِّي استودعتك هذه العِجْلة لولدي ، ثم أطلقها في المرعى ، ولم يوصِ عليها أحد ولكنه استودعها اللهَ تعالى ، استودعها يد الله الأمينة ، وعندما كبر الولد قالت له أمُّه : إن أباك قد ترك لك وديعة عند الله وهي عجلة ، فقال : يا أمي فأين أجدها ؟ فقالت : كن كأبيك هو توكَّلِ على الله واستودع وأنت توكَّلْ على الله واستردْ ! فقال الولد : اللهم ربُّ إبراهيم وربُّ موسى رد إليّ ما استودعه أبي عندك ، فإذا بالعجلة تأتي إليه وقد أصبحت بقرة ، وجاء بنو إسرائيل فشروها منه بوزنها ذهبًا ، ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله – : إن صلاح الأب جعل الله حفيظًا على أولاده يرعاهم وييسِّرُ لهم أمورهم [3] .

وكما كانت للبقرة في بني إسرائيل قصة كانت للعجل فيهم قصة في القرآن الكريم تبين لنا كيف غووا وضلُّوا وعبدوه من دون الله ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ (البقرة : ٥١) ، والعجلُ هو ذكرُ البقر ، وقيل

[1] - تفسير الشعراوي .
[2] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
[3] - تفسير الشعراوي .

سُمِّيَ عجلاً لاستعجال بني إسرائيل في عبادته ، وهذه القصة تبدأ عندما وَقَّتَ الله تعالى لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر ، وكان في قوم موسى عليه السلام رجلٌ يُسَمَّى السَّامري كان في قلبه ميلٌ لعبادة البقر فابتلى الله تعالى به بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (البقرة : ٩٣) ، وقال السَّامريُّ لقومه : ائتوني بحُليٍّ ، فأتوا بجميع حليهم فصنع لهم عجلاً وألقى عليه قبضة من التراب الذي كان قد أخذه من أثر فرس جبريل – عليه السلام – [١] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴿٨٨﴾﴾ (طه : ٨٨) ، وقال تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴿١٤٨﴾﴾ (الأعراف : ١٤٨) فعكفوا على عبادته ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ (النساء : ١٥٣) ، وكانوا يأتونه ويرقصون حوله ويمرُّ الهواء من خلاله فيصدر صوتًا فيظنُّون أنَّه يكلِّمهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا والله ما كان له صوتٌ قط ، إنما كانت الريحُ تدخلُ من دبره وتخرج من فيه [٢].

ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ أنه كان عجلاً ذا حجم واضح ، وكلمة (جَسَدًا) تدل على أنَّه بدنٌ بلا روح ، وإضافة (لَّهُۥ خُوَارٌ) تدلُّ على أن جسدية العجل لم تكن بها حياة لأنه لو كان جسدًا فيه روح لما أضاف الله إليه الخوار [٣]. فغضب الله عليهم ولعنهم ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

---

[١] - وهو قوله تعالى على لسان السامري : ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ (طه : ٩٦)

[٢] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

[٣] - تفسير الشعراوي .

(الأعراف : ١٥٢) ، ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله – أن سبب اتخاذ المشركين معبودًا من دون الله كالعجل أو غيره من أوثان ، أنَّها عبادةٌ لا تقوم على منهج وهذا ما يُرضِي النفس الأمارة بالسوء التي تريد الانطلاق في عالم الشهوات وتسبح في بحر الرذيلة دون تقيد بأوامر أو نواهي ، وهذا يخالف العبودية الحقَّة في أنْ تعبدَ الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك [1]. وذكر القرطبي – رحمه الله – في تفسيره أن الإمام الطرطوشي [2] سُئل عن قوم يجتمعون فيذكرون ويتمايلون ويرقصون ، ثم يُضرب لهم الدُّفُّ ، هل الحضور معهم حلال أم حرام ؟ فقال : مذهب الصوفية هذا بطالة ، وجهالة ، وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما الرقص فأول من أحدثه أصحاب السامريِّ لمَّا اتخذوا العجل ، وإنما كان رسول الله ﷺ مع أصحابه في جلوسهم كأنَّما على رءوسِهم الطير من الوقار والسكينة ، وهذا هو رأي الأئمة الأربعة وأهل العلم كابن القيم وابن تيمية وغيرهم [3].

في الحديث الشريف :

وردت قصة بقرة تتكلم بلسان الإنس فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : **" بينا رجلٌ يسوقُ بقرةً إذ ركبها فضربها فقالت له : إنَّا لم نُخْلَقْ لهذا ، إنما خلقنا للحرث "** ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تكَلَّم ! قال ﷺ : **" فإنِّي أؤمن بهذا أنا وأبوبكر وعمر "** [4]. ونحن نؤمنُ ونصدِّقُ بقول الصادق الأمين محمدﷺ ، ونتعلم من الحديث أن الله خلق كل شيء لمهمة ثابتة ووظيفة محددة لا يحيد عنهاً ، ويعاقب الله من يخالف فطرته فالبقر لم يُخلق للركوب وإنما لأعمال الزراعة كالحرث والري ، كما

---

[1] ـ المصدر السابق .
[2] ـ محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ، أديب مالكي وفقيه من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس ، توفي عام ٥٠٢ هـ .
[3] ـ المستطرف للأبشيهي .
[4] ـ رواه مسلم في صحيحه .

يُستفاد بلحومها وألبانها ، أحلَّهما الله وأباح بيعهما وشراءَهما ، ونهى عن التعدي على حق الغير فيهما ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **" لا يحلبنَّ أحدٌ ماشية امرئ بغير إذنه ، أيحبُ أحدُكُم أن تُؤتَي مشربتُهُ فتُكسَرُ خزانته فينتقل طعامه ؟ فإنما تُخَزِّن لهم ضروعُ ماشيتهم أطعماتِهم ، فلا يحلبنَّ أحدٌ ماشيةَ أحدٍ إلا بإذنه "** .[1]

ونهى رسول الله ﷺ عن غش ألبانها وخلطه بالماء أو ماشابهه ، ومن اللطائف التي وردتْ في ذلك ما جاء في " إحياء علوم الدين " للغزَّالي أنَّ شخصًا كان له بقرة وكان يبيع لبنها ويخلطه بالماء ويبيعه ، فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فمرَّ عليها فغرَّقها فجلس صاحبها يندبها ، فقال له بعضُ بنيه : يا أبت ! لا تندبها فإن الماء التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرَّقتها .[2]

زكاة البقر :

لكي تجب الزكاة على البقر يُشتَرَطُ مرور العام عليه إذا بلغ النصاب وهو ثلاثون رأسًا من البقر ، ويكون فيها تبيع وهو عجل أوفي سنة .[3] فإذا بلغت أربعين ففيها مُسنة أي أوفت سنتين ، فإذا زادت ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين عجل لقوله ﷺ : **" في كل ثلاثين تبيع ، وفي كل أربعين مسنة "** .[4] [5]

وتوَعَّد الله تعالى من لا يُؤدي حق الله تعالى فيها لقول رسول الله ﷺ في عقوبة مانع الزكاة : **" .. ولا صاحب بقر ولا غنم لا يُؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاعٍ قَرقَرٍ[6] لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عقصاء[7] ،**

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه .
[2] - المستطرف للأبشيهي .
[3] - أتم وأكمل سنة .
[4] - رواه أبوداود والترمذي في سننيهما ، وقال الترمذي : حديث صحيح ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في المستدرك .
[5] - فقه السنة لسيد سابق .
[6] - قرقر : مكان مستوٍ من الأرض .
[7] - عقصاء : ملتوية القرنين .

ولا جلحاء [1] ، ولا عضباء [2] تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار " [3].

في المثل العربي :

يُضرب بالبقرة المثل في حبها لولدها وحنوها عليه ، فكان العرب يقولون : **" عطف عليه [4] عطفة البقرة على أولادها "** وهذا ما رواه مسلم في صحيحه من أخبار غزوة حنين حينما انكشف المسلمون ثم ثبت الرسول ﷺ في نفر قليل ونادى العباس في أصحابه قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها .

في الرؤيا :

البقرةُ في الرؤيا تُؤول أنَّها السنة كما أوَّلها يوسف عليه السلام في رؤيا مَلِك مصر ، قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾** ﴾ (يوسف : ٤٣) فقد فسَّر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا على أنها سنين خير ورخاء تأتي من بعدها سنين قحط وجفاف ، فشاء الله تعالى بذلك أن يرحم أهل مصر ويكشف عنهم البلاء ولم يكتف يوسف عليه السلام بتأويلها بل وضع الحل الاقتصادي الناجح لهذه المشكلة ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾** ﴾ (يوسف : ٤٧) فقد نصحهم بتخزين الفائض سُنبلاً وليس حبًا فإذا داهمهم الجفاف وجدوا غذاءهم [5]. وتُؤول البقرة العشراء

---

[1] - جلحاء : ليس لها قرنين .
[2] - عضباء : مكسورة القرون .
[3] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، واللفظ لمسلم .
[4] - عطف عليه : مال وانحنى ويُقال عطفت البقرة على ولدها أي حنت عليه ودرَّت له .
[5] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ٤٩٢) .

والسـوداء بأنهـا سـنة رخـاء ، كـما تـُؤول بـالمرأة ، ولحومهـا ولبنهـا مـال مـن رآه يحلبهـا ويُشرب لبنها يصيرُ غنيًا .[1]

وقـد رأى رسـول الله ﷺ البقـر في منـامـه فعـن أبي موسـى الأشـعري رضي الله عنـه أن النبيَّ ﷺ قال : **" رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخـل فـذهب وَهَـلي[2] إلى أنها اليمامة أو الهجر[3] فإذا هي بالمدينة يثرب ، ورأيت فيها بقرًا – والله – خير ، فـإذا هم المؤمنون يوم أحد .. "** .[4] قال ابن حجر – رحمه الله – : أَوَّلَ الرسول ﷺ الرؤيـا أن البقر مَنْ قُتـِلَ من الصحابة يوم أُحُد وأنَّ الخيرَ هو مـا حصـل لهـم مـن ثـواب الشـهادة والصبر على الجهاد .[5] والثورُ في الرؤيا هو سيدٌ ، شـديدُ البـأس ، كثيرُ النفـع والعـون ، وقيل : رجلٌ ضخمٌ قويٌّ ، أو عامل من عمال الحاكم إن كان له قرنين ، فإن لم يكن لـه قرنان كان رجلاً حقيرًا ، ومن رأى أنَّه يركبه أو يملكه نال من الحاكم خيرًا ، ومن رأى أنه يملك ثيرانـًا فإنه يحكم في مال ويصبح ملكـًا عليه ، فإن رأى ثيرانـًا مجهولـة تـدخل دارًا حلَّ بهم وباءٌ أو مرضٌ . ومن رأى أنَّه يكسر قرنـًا لـه نـال خـيرًا ، وإن رأتـه امـرأة وهي تركبه تزوجت عظيمًا إن لم تكن متزوجة ، فـإن كانـت زوجـة أصـابها ذلٌّ وفقـر ، ولحمُهُ مالٌ لمن أكله ، ومن رأى أنَّه ذبحه وقسَّمَ لحمه فإنَّه يموت .[6]

٩– بُــــــومٌ

البوم من جوارح الطير ينتمي إلى رتبة وفصيلة البـوم التـي تضـم نحـو ١٥٠ نوعًـا ، وهو طائرٌ مفيدٌ للإنسان ؛ لأنَّه يتغذَّى على الفئران والثعابين ، ويمكن لبومة واحدة أن

[1] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٥٨) .
[2] - الوهل : الهم .
[3] - مكان قرب البحرين .
[4] - رواه البخاري في صحيحه .
[5] - فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر .
[6] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٥٨) .

تقتنص ١٥ فأرًا في ليلة واحدة ، ولا تصيد البومة إلا أثناء الليل ، وطريقتها في الصيد أن تقفَ فوق مكانٍ مرتفعٍ تَرْقُبُ من عليائها منطقةَ نفوذها ، وتصدر صوتها الذي يُدْخِلُ الرعب في قلوب الفئران فتتحرك في الظلام ، ويصدر عن حركتها صوتًا خافتًا تلتقطه آذانها الحساسة فتنقض عليها بسرعة خاطفة دون إحداث أدنى صوت وذلك بفضل ريشها الناعم المتراكب في صورة بالغة الترتيب ، فأهم خصائصها هي قدرتها على الطيران الصامت على خلاف باقي الطير ، وهي تعتمد في الصيد على حاسة الإبصار المذهلة التي تفوق حدَّتها إبصار الإنسان بخمسين مرة ، ولها من اتساع الحدقة ، وشدة تحدب العدسة ، وزيادة الأعصاب بالشبكية ما يتيح لها فرصة للرؤية في الضوء شديد الخفوت . ويعيش البوم في جميع بقاع العالم عدا القطب الجنوبي ، وتضع الأنثي على اختلاف أنواعها في المتوسط ٢ – بيضات ، تضعها في الخرائب وبين الأطلال ووسط الصخور ، والذكر لا يشارك أنثاه في الرقاد .

في اللغة :

البُومَةُ : اسمٌ للذكر والأنثى ، والجمع : **بُومٌ** ، و **أَبْوَامٌ** .[1]

وهو طائر كثير الظهور ليلاً في الخرائب ، ويُضرب به المثل في الشؤم وقبح الصورة .[2]

في الأدب :

قالوا عن البوم منه ما يصيد الأرانب والفئران ، ومنها ذات الحواجب والريش ، وهي تحبُّ الاختلاء بنفسها لذا تكرهها الطيور ، ولهذا يقوم صيادو الطيور بوضعها في شباكهم فتجتمع عليها الطيور فيصيدونها ، ومن أنواعه الهامة وكانت تعرفها العرب ، والقنُّ وهو ذو صوت أدق من الهامة ، والبعفة ، وأم قويق ، والمصَّاصة .[3]

---

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .

[2] - المعجم الوسيط (١ / ٧٧) .

[3] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .

في الحديث الشريف :

عـن أبي هريـرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : **" لا عـدوى ولا طِـيَرَةُ ولا هامةُ "** . [1]

والهامة في الحديث هي أحد أنواع البوم حيث كان العرب يعتقدون أن الإنسان إذا ما قُتِـلَ تتصور روحُهُ في صورة الهامة ، وتظل تحوم وتصرخ على قبره تطلب ثأره وتقول : اسقوني اسقوني .[2]

كما نهى رسول الله ﷺ عن الطيرة والتشاؤم بها وبغيرها ، قال رسول الله ﷺ : **" إن العيافة والطرق من الجِبت "** .[3] والعيافة هي : زجر الطير فإن طارت جهة اليمين تفاءلوا وإن طارت جهة الشمال تشاءموا ، والطرق : خط يُخط على الأرض يُضرب على الرمل على سبيل الكهانة ، والجِبْتُ : كل ما يُعبد من دون الله .

في الرؤيا :

تُؤول البومة على أنها لصٌ ضعيفٌ .[4]

١٠- ثُعْبَـــانٌ

تنتمي الثعابين إلى طائفة الزواحف تحت رتبة الثعابين ، وتضم نحو ثلاثة آلافِ نوعٍ تندرج في سبع فصائل ، منها الثعابين الأصلية : وتضم أغلب الأنواع ، والأفاعي : وهي ذات أنياب طويلة متحركة تنثني إلى الخلف عندما تغلق أفواهها ، والعرابيد ، وثعابين المرجان : وهما فصيلتان تضمان مجموعة من أخطر وأشرس الأنواع ، وثعابين

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه .
[2] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[3] - رواه أبوداود ، والبيهقي ، والبغوي في سننهم ، وأحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير .
[4] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧١) .

البحـر : وذيولهـا تشـبه المجـداف ، وتقضي معظـم وقتهـا سـابحة في الميـاه ، والثعـابين الحفـارة الدوديـة : وهـي أصـغر الأنـواع ، وفصـيلة الأصـلات : وهـي أكـبر الأنـواع وأضخمها وتسمَّى الثعابين العاصرة حيث تلتف بقوة على فريستها حتى تخنقها .

والثعـابين واسـعة الانتشـار تعـيش في جميـع البيئـات كالغابـات ، والجبـال ، والصحـاري ، والمنـاطق الزراعيـة بجـوار الـترع والمصـارف ، لكنهـا تكثـر في المنـاطق الحارة ، وتقل في المناطق البـاردة ، وتنعـدم تمامًا في المنطقتـين القطبيتـين ونيوزيلانـدة ، وأيرلندة ، وجزر الباسفيك . وتتفـاوت أحجـام الثعـابين فأكبرهـا الأصـلة التـي يبلـغ طولها نحو عشرة أمتار ، وأصغرها الثعابين الحفارة الدودية التـي لا تتجـاوز عـادة ٢٠ سم . وأغلب الثعابين غير سامة حيث لا يتجاوز عدد الأنـواع السـامة الألـف نـوع أي نحو ثُلُث الأنـواع كلهـا . وتتغـذى جميـع الأنـواع بفـرائس حيوانيـة حيـة كـالفئران ، والضفادع ، والأرانب ، والأسماك ، كما يفترس بعضُـها بعضًـا ، ويسـتطيع الثعبـان أن يبتلـع فريسـة تعـدل خمسـة أمثـال حجـم رأسـه ، ويبـدأ دائـمًا بـرأس الفريسـة ، ويحتـاج الثعبان إلى فترة قد تصل إلى عشرة أيـام ليهضـم غذائـه ، ثـم يلفـظ مـن فمـه الفضـلات التي لا يهضمها في صورة كرات صغيرة . والذكر والأنثى من الثعابين لا تحمـل فروقـًا ظاهرية واضحة على عكس باقي الحيوانات ، ويحدث التـزاوج في الربيـع بعـد الخـروج من البيات الشتوي ، والأنثى تتزاوج مرة واحدة في حياتها وتقوم بتخـزين مَنِيِّ الـذكر في جسمها سنوات لتلقح بيضها ذاتيًا ، وتضع أغلب الأنواع بيضًا ذا قشرة جلدية لينة بين كتل الخشب ، والمواد النبـاتية المتعفنة ، والرمال ، وفي الجحـور المهجـورة ، وإنـاث بعـض الأنواع يفقـس بيضهـا داخـل جسمهـا فتخـرج صغـارهـا أحيـاء . ويعـيش في مصر أنواعٌ عدَّة منها : الكوبرا المصرية ، والفارغة (الثعبان آكل البيض) ، والطريشـة

(الحية القرناء) ، والأزرود ، والدساس المصري والصعيدي ، وأبو السيور الجبلي والغيطي ..

في اللغة :

الحَيَّةُ : هي الأفعى ، وهو اسم للمذكر والمؤنث ، والجمع : **حَيَّات** ،**والتِّنِّين** : الحَيَّة العظيمة ، **والأُفعُوَانُ** : هو ذكر الحَيَّة وهو أخبثها ، و**الشُّجَاعُ** : هو ثعبان طويل يتغذى بالفئران والعصافير ، و**الأرقَمُ** : هو الذكر من الحَيَّات الرقطاء ، و**الحَنَشُ** : وهو الأسود منها ، **والأَصْلَةُ**: هي الحَيَّة الكبيرة مستديرة الجسم ، أما **الثُّعْبَانُ** ، فقيل أن كلَّ حيَّة ثعبانٌ ، وصوتُ الأفعى : **الحَفِيفُ** و **الفَحِيحُ** [1]، وهي أصواتٌ تصدرها لإرهاب أعدائها وذلك عن طريق طرد الهواء من القصبة الهوائية التي تستطيع أن تبرزها من الفم ، كما أن بعض الأنواع كذوات الأجراس تصدر صوتـًا نتيجة لهزِّ ذيولها التي تشبه الأجراس ، وبعضها يصدر صوتـًا عن طريق حك قشور جسمها الجانبية بعضها ببعض .

في الأدب :

قيل عنها : لسانُها أسودُ مشقوقٌ ، وقيل أنَّها : إذا فقدت إحدى عينيها عادت كما كانت ، وأنها تستعيد نابها إذا كُسرَ بعد ليال ثلاث ، وإذا قُطِعَ ذنبها عاد . ومن طباعها أنها تهربُ من الرجل العريان ، وتفرحُ بالنار ، وتذهبُ إليها ، وتحبُّ اللبن ، والبطيخ ، والخردل ، وإذا وُجدتْ الخمرُ شربتْ منها حتى تسكر ، وهي تكره رائحة الشيح والسَّذاب [2]. [3]

ويقول الجاحظ : إنَّها تنسلخُ في أول الربيع والخريف ، وتبدأ الانسلاخ بعيونها ثم ينسلخ باقي الجسم ، ويتم ذلك في يومٍ وليلةٍ ، وهي أثناء ذلك تُدْخِلُ جسمها بين

---

[1] ـ الإفصاح في فقه اللغة .
[2] ـ السَّذاب : نبات طبي ذو رائحة نفاذة من الفصيلة السَّذابية .
[3] ـ الإفصاح في فقه اللغة .

عودين أو صدعٍ [1] ضيق حتى تنسلخ ، ثم تـأتي عـين مـاء تـنغمس فيهـا ليشـتد جسـمها وتعود قوتها .[2] وتفسير هذه الظاهرة أن الثعابين تغطي أجسامها طبقة رقيقـة مـن جلـد شفاف بعد فترة تتوقف خلاياه عن النمو وتموت بينما يستمر نمـو بـاقي خلايـا الجسـم فتضيق طبقة الجلد الخارجية بعد أن أصبحت معتمة غير شفافة حتى يكـاد الثعبـان لا يري ، وتبـدأ عمليـة الانسـلاخ حيـث يبدأ بحك رأسـه في سـطح خشـن حتـى ينشـق جلده ، ثم يُدخل جسمه بين فرعي شـجرة أو في شَـق بـين صـخرتين ، ويتحـرك بـبطء فيخرج من جلـده الخـارجي ويتركـه خلفـه مقلوبًـا عـلى الأرض قطعـة واحـدة بعـد أن يكون قد نما له غيره .

ويقول الجاحظ : والثعابين من أقوى الأبدان جسـًما ، تقتـل بـما تحدثـه مـن الفـزع في نفس ضحيتها ؛ لأن الرجل في الفزع تتفـتح مسـامه فيتوغـل السـمُّ في موضـع الصـميم لذا فهي إذا نهشتْ النائم ، والمغمى عليه ، والمجنون لا يقتله .[3]

ويمكن علميًا تقسيم سموم الثعابين إلى أربعة أنواع : النوع الأول منها يؤثر في الدم فيحدث للإنسان سيولة في الدم أو نزيف داخـلي ، والثـاني يـؤثر في الأعصـاب ويتلـف أجزاء المخ التي تـتحكم في التنفـس فيُوقـف عمـل الـرئتين ، والثـالـث يُـؤثر في الـدم والأعصاب معًا وهو الغـالـب في أكثر الأنـواع ، والنـوع الأخـير وهـو خـاص بالثعـابين البحـريـة ويـؤثر مبـاشرة عـلى العضـلات فيُـؤدي إلى ارتخائهـا فتحـدث غيبوبـة تعقبهـا الوفاة . ويُقدر عدد الذين يتعرضون لسموم الثعابين نحـو ٤٠٠ ألـف سـنويًا ، يمـوت منهم نحو أربعين ألفـًا منهم في الهند وحدها عشرة آلاف . ويُعـالج المصـابون بلـدغاتها عن طريق تحضير أمصال مضادة لسمومها ، وذلك بأن تُـحقَـن الخيول بكميـات قليلـة من سمومها تـزيد تدريجيًا على مدى عدة شهور حتى تزيد مقاومتها ولا يُؤثر فيها السمُّ

[1] - الصدعُ : شِقٌّ بين صخرتين .
[2] - الحيوان للجاحظ .
[3] - المصدر السابق .

وعندئذ يُؤخذ من دمِّها ليُحضر المصل الذي يُحقن به المصاب فيحدث تعادل بين المصل وسمِّ الثعبان ، كما تُستخدم سموم الثعابين في مجال الطب لعلاج الأمراض العصبية والتهابات جذور الأعصاب ، ويتم الحصول على السمِّ بحلب الثعابين يدويًا أو بإمرار تيار كهربي ضعيف عبر أجسامها ، ولكي يتم جمع لتر واحد من سائل السمِّ يجب حلب ألفي ثعبان ، ويعطي اللتر عند تجفيفه نحو ١٨٥ جرامًا من السمِّ .

قال أبو الهلال العسكري في وصف الثعابين :

وخفيفة الحركات تفترعُ [١] الرُّبى ... كالبرق يلمعُ في الغَمَامِ الرَّائحِ

منقُوطة تحكي صُدُورَ صحائف ... إبَّان تبدو من بطون صفائحِ

ضى من الدنيا بظلِ صُخَيرة ... ومن المعيشة باشتمامِ الرَّوَائحِ [٢]

وقال الظاهر البصري :

سرْتُ وصحبي وسط قاعٍ صَفصَف [٣] ... إذا أشرفتْ من فوق طَود [٤] مُشرِف

رَقشَاءُ [٥] ترنُو من قَليب [٦] أجوف ... تُومي برأسٍ مثلَ رأسِ المجرَف

وذَنَب مُندمجٍ مُعَقَّف ... حتى إذا أبصرتُها لا تنكفي

علوتُها بحدِّ سيف مرهف [٧] ... فظلَّ يجري دمُّها كالقرقفِ [٨]

أتلفتها لمَّا أرادتْ تلفي [٩]

وقال الشاعر في وصف آثار سيرها على الرمال :

كأنَّ مَزَاحِفَ الحيَّاتِ فيها ... قُبيلَ الصبحِ آثارُ السياطِ [١٠]

---

[١] ـ تفترع : تفترش .
[٢] ـ نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[٣] ـ قاعٌ صفصف : أرض مستوية لا معلم لها .
[٤] ـ الطود : الجبل .
[٥] ـ رقشاء : مزخرفة مبقعة .
[٦] ـ القليب : البئر الجافة .
[٧] ـ المرهفُ : الحادُ الدقيق .
[٨] ـ القرقف : الخمر .
[٩] ـ نهاية الأرب للنويري (جـ ١٠) للنويري .
[١٠] ـ الحيوان للجاحظ .

في القرآن الكريم :

وردت قصة حيَّة موسى عليه السلام في القرآن الكريم والتي كانت أولى الآيات من قبل الله تعالى التي أيَّد بها نبيه موسى عليه السلام في تحدِّيه لفرعون وقومه ، وهي من المعجزات الباهرات لأنَّها كانت في الأصل هي عصاه التي يتوكأ عليها قد حوَّلها الله تعالى إلى حيَّة عظيمة ، قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الشعراء : ٣٢) ، وقال تعالى : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ (طه : ٢٠) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (القصص : ٣١) ، وقد ذكر المفسرون أن العصا قد تحولت إلى حيَّة عظيمة تتحرك حركة سريعة كأنها جانٌّ ، والجانُّ هو أسرع الحيات ، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما أنَّها مرَّتْ بشجرة فأكلتها ، ومرَّتْ بصخرة فابتلعتها ، فجعل موسى عليه السلام يسمعُ وقعَ الصخرةً في جوفها ، فَوَلَّى مدبرًا ، ويقول وهب بن منبه : إنَّه لَمَّا ألقى العصا حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه يتحرك كأنه يبتغي شيئًا يريد أخذه يمرُّ بالصخرة يلقمها مثل الحلفة التي يأكلها البعير ، ويطعن بنابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، فمه مثل القليب[1] الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف[2] ، عيناها تتقدان كالنَّار فولَّى موسى مدبرًا ولم يلتفت ، ثم ذكر ربَّهُ فوقف استحياءً منه ، ثم نُودي : يا موسى ارجع حيث كنت ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ وكان موسى عليه مِدْرَعَةٌ[3] من صوف لفَّ طرفها على يده فقال له مَلكٌ : أرأيتَ يا موسى لو أذن الله بما تحذر أكانت المِدرَعَةُ تغني عنك شيئًا ؟ قال :

---

[1] - القليبُ : البئر الجافة .
[2] - الصريف : هو الصرير وهو صوت القلم إذا تحرك على صفحة الورق .
[3] - المِدرَعة : ثوب يتدرع به أو قطعة من ثياب يلفها حول ذراعه .

لا ، ولكني ضعيفٌ ومن ضعف خُلقتُ ، فكشفَ عن يده ثم وضعها على فم الحيَّة حتى سمعَ حسَ الأضراس والأنياب ، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدها ويده كما هي بين شعبتي العصا وهو يتوكأ عليها .[1]

في الحديث الشريف :

كان رسول الله ﷺ يتعوذ منها ويقول : **" اللهم إنِّي أعوذ بك من الأسدِ والأَسْوَدِ "** .[2]

والأسوَد : نوع من الحيَّات شديد السواد يسمَّى الأفعوان ، وكان النبيُّ ﷺ يقول في دعائه : **" أعوذ بك أن أموت لديغًا "** .[3]

وقد أَمَرَ النبيُّ ﷺ بقتلِ الحيَّات وعَدَّها من الفواسق المأمور بقتلها في الحلِّ والحرم ، لقوله ﷺ : **" خمسٌ يُقتلن في الحلِّ والحرمِ – ذكر منهن : الحيَّة "** .[4] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **" اقتلوا الحيَّات ، اقتلوا ذا الطُّفيتين ، فإنه يطمس البصر ويصيب الحَبَلَ "** .[5] وعن أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالتْ : قال رسول الله ﷺ : **" اقتلوا ذا الطُّفيتين فإنَّه يطمسُ البصرَ ويصيبُ الحَبَل "** .[6] وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : اقتلوا من الحيَّات ذا الطُّفيتين ، والكلبَ الأسودَ البهيم ذا الغُرتين .[7] وذات الطُّفيتين : حيَّةٌ لينةٌ خبيثةٌ قصيرةُ الذنب على ظهرها خطان كالطفيتين أي الخوصتين والطُّفية خوصة المُقْلِ وهو شجر الدوم .[8]

---

[1] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ١٤٩) .
[2] - رواه أبوداود والنسائي في سننيهما ، والحاكم في المستدرك ، وصححه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
[3] - رواه الترمذي في سننه .
[4] - رواه أحمد في مسنده ، وأبوداود والترمذي في سننيهما ، وقال الترمذي : حديث حسن .
[5] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .
[6] - رواه البخاري في صحيحه .
[7] - البداية والنهاية لابن كثير .
[8] - المعجم الوسيط (١ / ٥٦٠) .

وقال رسول الله ﷺ : **" من قتل حيَّة فله سبع حسنات "** [1] – وفي رواية لمسلم – **" من قتلها له عشر حسنات "**. وقال النبيُّ ﷺ : **" اقتلوا الحيَّات كلها من تركها خشية ثأرها فليس منا "** .[2]

وقد استثنى النبيُّ ﷺ حيَّات مدينته أن تُقتَل إلا بعد إنذارها وذلك لأنَّ من مسلمي الجنِّ من كان يتصور في صورتها ، لكن هذا كان للازمة وقتيَّة ومكانية أمَّا الآن فتُقتَلُ حيَّات المدينة وغيرها .

قال المازري : لا تُقتَلُ حيَّات مدينة النبيِّ ﷺ إلا بإنذارها لقوله ﷺ : **" إنَّ بالمدينة جنًّا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام ! فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنَّما هو شيطانٌ "** .[3] وهذا الإنذارُ مخصوصٌ بمدينة النبيِّ ﷺ فقط دون غيرها أمَّا حيَّاتُ غير المدينة فمأمور بقتلها بنص الحديث .[4]

وهناك قصةٌ لحيَّة وردَ ذكرُها في السيرة النبوية وهي حيَّةٌ كانت ملازمة للكعبة قبل بعثة النبيِّ ﷺ فقد ذكر ابن كثير في تفسيره ، وابن إسحاق ، وابن هشام في سيرتيهما أنَّ حيَّةً كانت تخرجُ من بئر كانت في جوف الكعبة كانت تُلقَى فيها الكنوز من المال والذهب التي كانت تُقدمُ للكعبة ، وكانت هذه الحية تخرج من بئر الكعبة كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها ، فما كان يدنو منها أحدٌ إلا كشَّرتْ عن أنيابها ، وكانت قريشُ قد اعتزمت على تجديد بناء الكعبة لكنَّهم كانوا يهابون هدمها مخافة الحيَّة ، وفي يوم وبينما هي تشرف على جدار الكعبة بعث الله طائرًا ضخمًا فاختطفها وذهب بها فقالت قريشُ إنَّا لنرجو أن يكون قد رضي الله لما أردنا وأنشدَ الزبير بن عبد المطلب في أمر الحية شعرًا :

[1] - رواه أحمد في مسنده .
[2] - رواه الطبراني في معجمه .
[3] - رواه مسلم في صحيحه .
[4] - تفسير المازري على صحيح مسلم .

عَجِبْتُ لَمَّا تصوَّبَتْ [1] العُقـابُ	إلى الثعبانِ وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيشٌ	وأحيانًا يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدَّتْ	تهيبنا [2] البناءَ وقد تُهَاب
فلمَّا أنْ خشينا الزجرَ جاءتْ	عُقَابٌ تتلئبُ لها انصباب
فضمَّتها إليها ثم خلَّتْ [3]	لنا البنيان ليس له حجاب [4]
فقمنا حاشدين إلى بناء	لنا منه القواعدُ والتراب
غداةً نرفعُ التأسيس منه	وليس على مساوينا ثياب
أعزَّ به المليكُ بني لؤي	فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدتْ هناك بنو عديٍّ	ومُرَّةُ قد تقدَّمها كلاب
فبوَّأنا [5] المليكُ بذاكِ عزًّا	وعند اللهِ يُلتمسُ الثواب

في المثل العربي :

يَضربُ العربُ المثلَ في الظلمِ بالحَيَّة فقالوا : " **أظلمُ من حيَّة** " ، وفي الحِلم : " **أحلمُ من حيَّة** " [6].

في الرؤيا :

تُؤول الحَيَّة أنَّها عدوٌ كاتمُ العداوة أو كافرٌ ، فمن قاتلها أو نازعها يقاتلُ عدوًا ، فإذا قتلها انتصر على عدوٍّ ، وإن لدغته نالَ مكروهًا من عدوه ، وإن رآها ولها أقدام فهي إشارة إلى قوة هذا العدو . ومن رأى أنَّه يفرُّ منها فهو ينجو من عدوٍّ ، ومن رأى حيَّةً دخلتْ بيته فهو عدوٌّ من جهة الأقارب أو النساء ، فإن خرجت من جسمه فهي

[1] - تصوبت : توجهت .
[2] - تهيَّب : خافَ وخشيَ .
[3] - خلاه : تركه .
[4] - لا يمنعنا عنه مانع .
[5] - بوَّأه :أنزله منزلاً أو مكانًا .
[6] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري - جمهرة الأمثال .

عدوٍّ من أولاده ، ومن أكل لحمها نال من عدوه مالاً ، ومن ملكها ينال ملكًا ونعمة ، فإن كانت سوداء فإنَّه يقود جيشًا ، وإن كانتْ بيضاء نال سعادة ، وإن كانت لطيفة ملساء ينال من كنوزِ الملكِ . ومن رأى حيَّةً تخرج من الأرض فهو عذاب من الله يحلُّ بالمكان .[1]

١١– ثَعْلَبٌ

حيوان ينتمي لرتبة آكلات اللحوم ، وهو أكثر أنواع فصيلة الكلاب انتشارًا بعد الكلب الأليف ، وقد نجح في التكيف مع جميع البيئات حتى شديدة البرودة والجفاف منها ، وهو ينتشر في جميع بقاع العالم عدا القطب الجنوبي وجنوب شرق آسيا ، ويبلغ عدد أنواعه ١٤ نوعًا منها : الثعلب القطبي ، والثعلب الأحمر ، والثعلب الرمادي ، وثعلب الرمال .. ومن أشهر أنواعه في مصر : الثعلب المصري وهو يعيش قرب المدن والقرى على أطراف الصحراء ، وهو يتغذى بالقوارض ، والحشرات ، والفاكهة ، كما يسطو على الدواجن وصغار الغنم . تضع الأنثى ٤ – ١٤ صغيرًا بعد فترة حمل ٥٢ يومًا في حفرة تحت الأرض .

في اللغة :

الثَّعْلَبُ : اسم لحيوان معروف يُطلق على الذكر والأنثى ، والجمع **ثَعَالِبُ** ، ويُسَمَّى الذكر كذلك : **الثُّعْلُبَان** ، والأنثى : **ثُعَالَة** ، ويُسَمَّى ولد الثعلب : **الهَجْرَس** ، وصوت الثعلب : **الضُّبَاح** .[2]

وكُنية الثعلب : **أبوالحصين** ، **وأبوالنجم** ، **وأبونوفل** ، **وأبوالوثَّاب** ، والأنثى : **أم**

---

[1] ـ تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧٩ ، ١٨٠) .

[2] ـ الإفصاح في فقه اللغة .

عويل .[1] ، ويُقال : **تثعلبَ** الرجلُ أي جَبُنَ وزاغَ كالثعلب .[2] كما تُوصفُ مشية الخيل مع سرعة تقارب خطاها بالثعلبية .[3]

في الأدب :

ذكر الجاحظ أنَّه حيوان يمتاز بالحيلة ، ومن حيله في طلب الرزق أنَّه يتماوت فينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يُظن أنَّه مات ، فإذا قرب منه حيوان وثبَ عليه وصاده ، فإذا رآه الغراب يتماوت يهبط ليأكل من جيفته فينتفض الثعلب وينقض عليه بسرعة فيفترسه [4] ، لكن لا تتم حيلة كتلك على كلب الصيد .[5]

والثعلب سبعٌ جبانٌ مُسْتَضْعَفٌ ذو مكر وخديعة ، لكنَّه لفرط الخبث والخديعة يجري مع كبار السباع[6] ، فهو إن كان أضعف من الذئب إلا أنه سريع الزوغان من عدوه خفيتف الحركة قويُّ الحواس . ومن صفاته أنَّه يتمرَّغ في الزرع فلا ينبت موضعه .[7]

في الحديث الشريف :

نهى رسول الله ﷺ عن التشبُّه بهيئته في الصلاة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهانا رسولُ الله ﷺ في الصلاة عن ثلاثةٍ : نقرةٍ كنقرةِ الديكِ ، وإقعاءٍ كإقعاءِ الكلبِ ، والتفاتٍ كالتفاتِ الثعلبِ .[8]

وذكر الدميري في كتابه " حياة الحيوان الكبرى " أنَّ بني ثعلب كان لهم صنم يعبدونه

[1] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[2] - المعجم الوسيط (١ / ٩٦) – المعجم الوجيز .
[3] - الحيوان للجاحظ .
[4] - الحيوان للجاحظ – حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[5] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[6] - المصدر السابق .
[7] - الحيوان للجاحظ .
[8] - رواه أحمد في مسنده .

فبينما هو ذات يوم إذ أقبل ثَعْلَبَان يشتدان [1] فرفع كل منهما رجله وبال على الصنم – وقيل الثُّعْلُبان وهو الذكر منها – ثم أكلا خبزًا وزبدًا كانا عند رأس الصنم ، فقال رجلٌ إلى الصنم فكسره ، ثم جاء إلى النبيِّ ﷺ فبايعه وأسلم بين يديه ، وقال في ذلك شعرًا :

أَرَبٌّ يبولُ الثُعْلُبان برأسهِ لقد هانَ منْ بالتْ عليه الثعالبُ [2]

حكمه :

قضى السَّلفُ أَنَّهُ من قتلَ ثعلبًا وهو مُحْرِمٌ فعليه فديةُ جدي ، وقد أجاز الشافعيُّ أكلَ لحمه ، وقال ابنُ الصلاح : في تحريمه حديثان إسنادهما فيه ضعف وقد اعتمد الشافعي في ذلك على عادة العرب في أكله ، وقد أحلَّه كذلك طاوس وعطاء وغيرهما ، وكره أبو حنيفة ومالك أكله .[3] وإن كان أصحاب أبي حنيفة أجازوا أكله .[4] وأكثر الروايات عن أحمد تحريمه لأنه سبع .[5]

في المثل العربي :

يُقال في المثل العربي : **" أروغُ من ثعلب "** حيث يُضرب به المثل في المكر والحيلة .[6]

في الرؤيا :

يؤول الثعلب أنَّه رجلٌ غادرٌ محتالٌ ذو مكرٍ وخديعة ، وقيل عدوٌ منِ قَبلِ السلطان ، فمن نازعه نازع غريمًا ، وقيل خاصم بعض أهله أو أصدقائه ، فإن راوغه

---

[1] - يشتد : يسرع في العدو .
[2] - القصة رواها البغوي في معجمه ، وابن شاهين وغيرهما ، وقد ذكرها ابن حجر في الإصابة وعزاه لغاوي بن ظالم ، وذكره الجاحظ في الحيوان ولم يعزوه لأحد ، وذكر في بيت الشعر " إله "بدلاً من " رب " .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[4] - فقه السنة لسيد سابق .
[5] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[6] - جمهرة الأمثال .

يراوغه غريمٌ له ، وإن طارده ثعلبٌ أصابه فزعٌ ، فإن أخذ ثعلبًا ظفرَ بخصمٍ أو غريمٍ ، وأكل لحمه يدلُّ على مرضٍ سريع البرء . ومن شرب لبن أنثاه بَرِئَ من مرضٍ إذا كان مريضًا وإلا ذهب همُّهُ.[1]

١٢- جَــــرَاد

الجراد من الحشرات مستقيمة الأجنحة التي تنتمي إلى فصيلة الجراد والنطاط ، ويصل عدد أنواعها إلى أكثر من عشرة آلاف نوع ، منه : الجراد المصري ، وجراد البحر المتوسط ، وجراد البحر الأحمر ، ولكن أخطرها جميعًا الجراد الصحراوي الذي يتجمع بأعداد هائلة ، ويقطع السرب نحو ٥٠ كم في اليوم الواحد ، وهي تهاجر في النهار وتحطُّ على الأشجار والنبات ليلاً لتتغذى عليها ثم تواصل هجرتها مع شروق الشمس ، وقد ترتفع في طيرانها إلى طبقات الجو العليا .

والسرب متوسط الحجم الذي لا تتجاوز مساحته ثمانية أميال مربعة يضم ما لا يقل عن مليار (ألف مليون) جرادة ، أي ما يقابل وزن ثلاثمائة فيل مجتمعين ، فإذا علمنا أن الحشرة الواحدة التي يبلغ متوسط وزنها جرامين تأكل يوميًا مثل وزنها من النبات فيكون ما يأكله السرب مجتمعًا في اليوم الواحد نحو ألفي طن من النبات .

فالجراد من الآفات الزراعية الخطرة حيث تقضي أسرابه على المحاصيل الزراعية ، وتبلغ المساحة المعرضة لهجوم أسرابه نحو ١١ مليون ميل مربع من مساحة الكرة الأرضية ، وهو ما يماثل ٢٠ ٪ من مساحتها ، وتغطي غاراته ٦٥ دولة يُقدَّرُ عدد سكانها أكثر من عُشر عدد سكان العالم ، وقد ذكرت منظمة الأغذية والزراعة التابعة

[1] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٦٨) – حياة الحيوان الكبرى للدميري .

لليونسكو في تقرير لها أن أحد الأسراب في وسط إفريقيا غطى مساحة ألفي ميل مربع كان يضم نحو ٢٠٠ مليار جرادة ، وقد مرَّ هذا السرب لمدة ثماني ساعات بلا انقطاع ، وكان يأكل في اليوم الواحد ٣٢٠ ألف طنٍ من القمح وهي كمية تكفي غذاء مليون وأربعمائة ألف نسمة لمدة عام كامل .

والجرادة تضع ٦٠ – ٩٥ بيضة في حفرة بين الرمال في نهاية الصيف تمزجها بسائل غروي يحميه ، وتفقس بعد أسبوعين عن حوريات صغيرة تنسلخ ستة انسلاخات حتى تتحوَّل إلى حشرة كاملة . وقد عُرف الجراد قديمًا فقد وُجدت له نقوش على المقابر الفرعونية ترجع إلى عام ١٤٠٠ ق.م ، ووُجدت كذلك في مخطوطات صينية ترجع إلى عام ٧٠٧ ق.م .

في اللغة :

الجَرَادُ : واحدته : **جَرَادَةٌ** ، وهو اسم يُطلق على الذكر والأنثى ، سُمِّيَ بذلك لأنه يجردُ الأرضَ ويأكل ما عليها ، ويُسَمَّى بيض الجراد : **سَرْءٌ** ، وسَرَأ الجرادُ أي ألقى بيضه [1].

وكنية الجراد : أم عوف .

وفيها يقول الشاعر :

وما صفراءُ تكنَّى أم عوفٍ   كأن رجيليتها منجلان [2]

في الأدب :

الجرادُ حشرات تجمعية لها رئيسٌ أو قائدٌ ، ولعاب الجراد كالسم على الأشجار فإذا بدأ

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

في أكل ورقة جفت شجرتها وماتت خضرتها [1].

والجرادُ وبالٌ شديد فهو يهاجرُ في أسراب كبيرة تهلكُ الزرعَ وتخرِّبه ، وقال في ذلك الشاعر :

مَرَّ الجرادُ على زرعي فقلتُ له   لا تأكلنَّ ولا تُشْغَلْ بإفسادٍ

فقامَ منهم خطيبٌ فوق سنبلةٍ   إنا على سفرٍ ، لابد من زادٍ [2]

وقيل في الجرادة أنها تشبه عشرة من جبابرة الحيوان : وجه فرسٍ ، وعيني فيلٍ ، وعنق ثورٍ ، وقرني أيلٍ ، وصدر أسدٍ ، وبطن عقربٍ ، وجناحي نسرٍ ، وفخذي جملٍ ، ورجلي نعامةٍ ، وذنب حيَّةٍ ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لها فخذا بكرٍ [3] وساقا نعامةٍ   وقادمتا[4] نسرٍ وجؤجؤ [5] ضيغمِ [6]

ضيغمِ [6]

حبتها أفاعي الرملِ بطنًا وأنعمتْ   عليها جيادُ الخيلِ بالرأسِ والفمِ [7]

[7]

في القرآن الكريم :

الجرادُ كما بيَّن الله تعالى في كتابه الكريم هو جندُ الله يحلُّ بعذابه على العصاة والكافرين جعلها الله نكالاً لفرعون وأتباعه لكفرهم وإعراضهم عن الحقِّ ، قال تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

[1] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) - للنويري .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - البكر : الفتى من الإبل .
[4] - القوادم أربع ريشات كبار في مقدم جناح الطائر ، والواحدة منا قادمة .
[5] - الجؤجؤ : الصدر .
[6] - الضيغم : الأسد .
[7] - نهاية الأرب (جـ ١٠) – للنويري .

مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (الأعراف : ١٣٣) لذا كان رسول الله ﷺ يذكر في دعائه : **" اللهم سد أفواهها عن مزارع المسلمين ، وعن معايشهم إنك سميعٌ الدعاء "** .[١]

وقد ضرب الله المثل بكثرة أعدادهم وتوالي اندفاعهم في وصفه لحال الموتى وانبعاثهم من قبورهم وهم ينسلون إلى أرض المحشر ، فقال : ﴿ **يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ** ﴿٧﴾ ﴾ (القمر : ٧) ، ويقول أحدُ الأعراب عن هذه الكثرة التي تأتي على الأخضر واليابس فما تُخَلِّفُ وراءها غير الدمار والخراب : أتتنا غيومٌ من جراد، بمناجلٍ حداد، فأخربتْ البلاد ، وأهلكتْ العباد ، فسبحان من يُهْلِكُ القويُّ الأكول بالضعيف المأكول .[٢]

في الحديث الشريف :

قال رسول الله ﷺ : **" أُحِلَّتْ لكم ميتتان ودمَّان فأما الميتتان فالحوت[٣] والجراد ، وأمَّا الدمَّان فالكبد والطحال "** .[٤] لذا أجمع المسلمون على إباحة أكله ، والعلَّةُ في حلِّ أكله أن السمك والجراد ليس فيهما دمًا سائلاً متصلاً باللحم ، فالدم لا يوجد في السمك إلا في أغشية رأس السمكة (الخياشيم) ، وكذلك الجراد ليس له دم سائل مختلط بلحمه ، فعندما يموتان لا يوجد خطر فيهما لعدم وجود دم ينحبس في أجسامهما .[٥]

وكان العرب يأكلونه ويشتهونه وقد ذكر الجاحظ أنَّه يطيب حارًا ، وباردًا ، ومشويًا ،

---

[١] - المصدر السابق .
[٢] - نهاية الأرب (جـ ١٠) – للنويري .
[٣] - أي السمك .
[٤] - رواه أحمد في مسنده ، وابن ماجة والبيهقي والدارقطني في سننهم ، والشافعي .
[٥] - الإعجاز العلمي في الإسلام : الحديث الشريف – محمد كامل عبد الصمد .

ومطبوخـًا ، ومنظومًا في خيط ، ومجعولاً على الجمر والرماد الحار .[1]

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : غزونا مع النبيِّ ﷺ سبعَ غزواتٍ – أو ستًّا – كنا نأكل معه الجراد [2] – وفي رواية البخاري ، وأبي داود ، وأبي نعيم – : ويأكله رسول الله ﷺ معنا .

وربما كان المقصودُ بالمعية هنا مجرد الغزو فقط وليس الأكل ؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا سُئِلَ عن الجراد فيما رواه البخاري في صحيحه وأبو داود في سننه ، قال ﷺ : **" لا آكله ولا أحرمه "** .[3]

والجرادُ من صيد البر ، فقد روى الشافعي عن سعيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّهُ أنكر على مَنْ يصيدُ الجراد في الحرم .[4]

وقيل أن الجراد وقلوب الأشجار كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وكان يقول : مَنْ أنعمَ منكَ يا يحيى .[5]

وهذه قصة جرادٍ من ذهبٍ نزل عطاءً من الله تعالى على نبيه أيوب عليه السلام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : **" بينا أيوبُ يغتسل عُريانـًا فخرَّ عليه جرادٌ من ذهبٍ فجعل أيوبُ يحتثي[6] في ثوبه ، فناداه ربُّهُ : ألم أكن قد أغنيتك عمَّا ترى ؟ قال : بلى وعزتك ! ولكن لا غنى بي عن بركتك "** .[7] وهذا الحديث تفسير قوله تعالى من قصص أيوب عليه السلام في القرآن الكريم : ﴿ **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ**

---

[1] - الحيوان للجاحظ .
[2] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والترمذي والنسائي والدارمي في سننهم ، وأحمد في مسنده .
[3] - فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر .
[4] - تفسير ابن كثير .
[5] - المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي .
[6] - يحتثي : يجمع .
[7] - رواه البخاري في صحيحه ، والنسائي في سننه ، وأحمد في مسنده ، واللفظ للبخاري .

بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ (ص : ٤٢) فعافاه الله تعالى من مرضه وأرسل عليه جرادًا من ذهب بركة من الله ومكافأة له على إيمانه وصبره .

في المثل العربي :

من أمثال العرب في الجراد : " **أطيرُ من جراد** " [1].

في الرؤيا :

الجرادُ في الرؤيا عسكرٌ ، وعامةٌ ، وغوغاءٌ ، فإذا رُؤيتْ كثيرة فإنها عذابٌ من الله ، فإذا كان الناسُ يجمعونها أو يأكلون منها فإنَّها أرزاقٌ تُساقُ إليهم ، فإن نزلت على سقف بيتٍ كانت مطرًا ، وإذا اجتمعت في وعاءٍ كانت مالاً [2].

١٣– جَـرْبُوعٌ

الجربوعُ حيوانٌ من القوارض يعيش في جحر يحفره تحت الأرض ، وهو ذو جسمٍ رشيقٌ يمتازُ بطولِ رجليه الخلفيتين اللتين تمكناه من القفز لمسافةٍ تصل إلى ثلاثة أمتار ، كما أنَّ له ذنبًا عضليًّا طويلاً ينتهي بخصلةٍ من الشعرِ تحولُ دون غوصه في الرمال عندما يرتكز عليه .

ويبلغ عدد أنواعه ٢٥ نوعًا منها ثلاثة أنواع تعيش بإفريقيا في صحرائها الشمالية ، وباقي الأنواع تعيش في غرب آسيا ، ويعيش في مصر منها ثلاثة أنواع أكثرها انتشارًا : الجربوع المصري الذي ينتشر في جميع أجزاء الصحراء الشرقية والغربية .

في اللغة :

---

[1] - الحيوان للجاحظ .

[2] - تفسير الأحلام (ص ١٧٧) – لابن سيرين .

الجَرْبُوعُ : دابَّة معروفة يُقال للذكر منها : **يَرْبُوعٌ** ، والأنثى : **يَرْبُوعَةٌ** ، ويُقال لولده : **الدَّرْصُ** ، والجمع : **أَدْرَاصٌ** [1].

في الأدب :

الجربوعُ حيوانٌ طويل الرجلين قصير اليدين له ذنبٌ مثل الجرذ يرفعه إلى أعلى وفي طرفه شبه النوارة مثل الخصلة ، ولونه مثل لون الغزال [2]. وهو يجترُّ ويبعَرُ والأنثى، تحيضُ وتُرضِعُ صغارها ، وللحيوان أربع ثنايا في فكه السفلى واثنتان في العلوي ، ويعيش الحيوان في جماعات يكون لها رئيسٌ ، وهو يقف على صخرةٍ مشرفة فإذا رأى ما يخافه عليها أصرَّ بأسنانه وأصدر صوتًا تسمعه فتنصرف إلى جحرها ، وإذا غفل عن المراقبة ذات مرة قتلته ونصَّبَتْ آخر مكانه ، وإذا أرادت الخروج من جحورها يخرج قبلها ليراقب الجو فإذا لم يرَ ما يخافه عليها أطلق صريرًا فتخرج . وهو حيوانٌ خبيثٌ ماكرٌ ، وكلُّ دابَّة حشاها الله خبثًا فهي قصيرة اليدين [3].

وهو يحتالُ على عدوه حيث يطأ على زمعته[4] في الأرض اللينة كي لا يَعرَفُ أثرها الذي يقتصه [5]. والجربوع يسكن باطن الأرض لتقوم رطوبتها له مقام الماء ، وهو يحفر جحره ويجعل له بابين يهرب من أحدهما إذا طُلِبَ من الآخر . ويقول الجاحظ وغيره : واسم المنافق لم يكن في الجاهلية لمن أَسَرَّ الكفرَ وأظهر الإيمان ولكن الباري سبحانه اشتق له هذا الاسم من هذا الأصل من نافقاء اليربوع وهي أنفاقه وجحوره ؛ لأنَّه أبطنَ الكفرَ وأظهرَ الإيمان وأوهم الغير بخلاف ما هو عليه [6]. ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله – أن كلمة منافق مشتقة من نافقاء الجربوع وهي إحدى

---

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .
[2] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري – حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[4] - الزمعة : هي الشعرات المدلاة في مؤخرة رجل الشاة .
[5] - الحيوان للجاحظ .
[6] - الحيوان للجاحظ – حياة الحيوان الكبرى للدميري .

جحوره التي يستتر بها ويختفي فيها ؛ لأنه يصنع لنفسه بابًا يدخل منه وآخر يخرج منه كالمنافق الذي يظهر ما لا يبطن كما أنَّهم لا يأخذون سوى ظاهر الإسلام دون باطنه .[1]

حكمه :

الجربوع من الصيد فلا يحلُّ صيده في الحرم ويقضي- فيه يقتله المُحرِمُ بجفرة ، والجفرة هي ما عظم وزاد حجمه من ولد الشاة والمعزى .[2]

والجربوع يحل أكله وقد كانت العرب تستطيبه وتحله .[3]

في المثل العربي :

ضرب العرب به المثل في الضلال ، فقالوا : **" أضلُّ من ولِد اليربوع "** ؛ لأنَّه إذا وطأ أرضًا لينة لا يُعرف أثر وطئه على الأرض .[4]

في الرؤيا :

يُؤول في الرؤيا أنه رجلٌ خَلاَّفٌ كذَّابٌ كثير الحلف أو ممسوخ ، فمن نازعه نازعَ إنسانًا بوصفه .[5]

١٤- جَمَــلٌ

الجملُ حيوانٌ ثدييٌّ مجترٌ من ذوات الخف ، وتضم فصيلة الجمال جنسين من الجمال هما : الجمل العربي وهو ذو سنام واحد ، والآخر هو الجمل الآسيوي وهو ذو سنامين ويعيش في آسيا الوسطى وهو أضخم جسمًا ويغطيه وبرٌ كثيف ، ويستطيع تحمل

---

[1] - تفسير الشعراوي .

[2] - الموطأ للإمام مالك .

[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

[4] - الحيوان للجاحظ .

[5] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٨٢) – حياة الحيوان الكبرى للدميري .

التفاوت الشديد في درجات الحرارة بين الارتفاع والانخفاض ، ومنه نوع مستأنس وآخر بري .

والجملُ العربيُّ هو الأكثر شهرة وانتشارًا في بيئتنا العربية ، وقد قسَّمه العلماء وفقًا لوظيفته إلى نوعٍ للركوبٍ وآخرٍ لنقل الأحمال ، وقسَّموها وفقًا لمأواها إلى جمال الجبال ، وجمال الوديان ، ويضم الجمل العربي سلالات شهيرة منها : البلدي ، والحبشي ، والهندي ، والصومالي ، والحجازي ، والمغربي . ويستطيع الجمل العربي تحمل العطش والجوع فترات طويلة لدرجة أنَّه يحيا حتى وإن فقد ربع وزنه من الماء بينما تنفق باقي الحيوانات إذا فقدت نسبة ١٢ ٪ – ١٥ ٪ من وزنها من الماء ، ويستطيع الجمل أن يسترجع هذا القدر خلال عشر دقائق من شرب الماء فقط ، ويستطيع الجمل أن يشرب الماء الذي تفوق ملوحته ماء البحر ، والجمل حيوان قوي شديد التحمل فهو يستطيع أن يمشي مائتي كيلومترًا خلال ١٢ ساعة فقط لذا يعتبر الجمل بالغ الأهمية لدى سكان الصحراء وا لحضر على السواء حيث يُستخدم في الجرِّ ، والحمل ، والركوب ، وهو يستطيع حمل حملاً كبيرًا ويسير به ٥٠ كيلومترًا في اليوم الواحد بسرعة ٨ – ١٠ كيلومترًا في الساعة ، كما يُؤكل لحمه ويُشرب لبنه حيث ينتج ٥ – ٩ لترات يوميًا أي أنَّه ينتج ١٨٠٠ لترًا منه في العام ، كما ينتج الجمل الواحد ١ – ٢ كيلوجرام من الصوف .

والذكرُ يصل إلى ذروه نضجه الجنسي في سن خمس سنوات ، والأنثى في ثلاث سنوات وهي تحمل ١٢ – ١٣ شهرًا لتضع غالبًا صغيرًا واحدًا ، ونادرًا ما تضع اثنين . وقد عُرف الجمل منذ عصور ما قبل التاريخ ، فقد كان ينتشر منذ ملايين السنين في الأمريكيتين ومنها انتقل إلى جميع أنحاء العالم ، وكان الجمل معروفًا في مصر قبل

الغزو الفارسي لمصر بين عامي ٢٦٠٠ ق . م – ٢٧٠٠ ق . م .

في اللغة :

الجَمَلُ : بمنزلة الرجل من الجمال ، والجمع : **جِمَـالٌ** ، و**جِمَالَةٌ** ، و**النَّاقـَةُ** : بمنزلة المرأة ، و**الإِبِلُ** : جمعٌ مؤنثٌ ليس لـه مفردًا ، و**القَعُـودُ** : بمنزلـة الفتـى ، و**القَلُـوصُ** : بمنزلة الفتاة ، و **البَعِرُ** : بمنزلة الإنسان من الناس ، وصوت الجمل : **الرُّغَاءُ** .[1]

ويشيعُ كثيرٌ من أسماء الجمال بين أسمـائنا مثل **هَادِيَة** : وهـي الناقـة التي تتقـدَّمُ الإبل ، و **هِنْد** : هـي جماعـة الإبـل ، و **هُوَيْدَة** : وهـي سنـام الجـمال ، و **وَاصِفَـة** : هـي النـاقة ، و **مُصْعَب** : وهو الفحل من الإبل ، و**بَكْر** : هو الفتى من الإبل .

في الأدب :

قال الدميري عنه : إنَّـه مـن الحيوانـات العجيبـة وقـد سـقط عجبهـا في أعـين النـاس لكثرة رؤيتهم له ، وهـو حيـوان عظيم الجسـم سريـع الانقيـاد بالحمـل الثقيـل ، تأخـذ زمامه فأرة فتذهب به حيـث شـاءت ، ومـن طباعـه أنَّـه يُقبـلُ عـلى الشـجر ذي الشـوك فيهضمه ولا يستطيع هضم الشعير .[2] والجملُ أشـدُّ الحيـوان حقـدًا ، وفي طبعـه الصـبرُ والصولةُ .[3] كما أنَّه شديدُ الغيرة ، ويستطيعُ الاهتداء إلى الطريق ، والصـبر عـلى الحمـل الثقيل والعطش ، وهـو يحبُّ شربَ الميـاه الكـدرة الغليظـة ، وهـو إذا وردَ مـاءَ الأنهـار حرَّكه بأرجلهِ حتى يتكدَّر ، وهو يحبُّ الشمسَ ، ويتجنَّبُ النبات السَّام ، وفيه من كرمِ الطباع أنَّه لا يتزوج من أمِّه وأخواته وإذا أُجبر على ذلك ربما قتل صاحبه .[4]

---

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - المصدر السابق .
[4] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .

والجمال ثلاثة أصناف : يماني ، وعربي ، وبُختي . فاليماني : بمنزلة العتيق من الخيل وهو أفضلها ، والعربي : كالبرذون من الخيل – والبرذون فرس هجين غير أصيل – والبُختي : كالبغل من الخيل [1].

ومن أشهرِ الجمالِ عند العرب : ناقةُ البسوسِ التي قتلها كليبُ بن ربيعة فنشبت حربٌ طويلة بين قبائل عدة من العرب دامت نحو عشر سنين ، وكانت أكرم فحل عند العرب من الإبل جملاً كان للنعمان[2] يُسمَّى عصفورًا وكانت أولاده تُسَمَّى عصافير الجنَّة .

وكانت عادة العرب أنَّه إذا بلغتْ إبل أحدهم ألفًا فقئوا عين الفحل ، فإذا بلغت ألفًا أخرى فقئوا عينه الأخرى [3].

وقيل في عظمِ شأنِ الإبلِ أنَّ الله تعالى لم يخلق نعمًا خيرًا من الإبل إن أثقلتْ حملتْ ، وإنْ سارتْ أبعدتْ ، وإنْ حُلبتْ أروتْ ، وإنْ نُحِرتْ أشبعتْ [4].

في القرآن الكريم :

ورد الجملُ بلفظه ومترادفاته في كتاب الله تعالى مرات عديدة ، حيث أفاض الله تعالى بذكر منافعه مبينًا فضله تعالى على الناس بما وهب لهم من النعم ليحمده الناس ويشكرون آلاءه ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ ﴾ (الغاشية : ١٧) . والإبل هي واحدة من الأنعام التي خلقها الله تعالى وحدَّدَ منافعها ، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ

---

[1] ـ المصدر السابق .
[2] ـ النعمان بن المنذر أحد ملوك المناذرة وهي مملكة كانت تقع على حدود العرب مع بلاد الفرس .
[3] ـ نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .
[4] ـ المصدر السابق .

﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (يـس : ٧١ ، ٧٢) ، وقـال تعـالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

(النحل : ٥ – ٧) فقد فصَّلَ اللهُ منافعَ الأنعام وبيَّنَ أهميتها في حياة الإنسان فهي تساعده في عمله ، وتنتج له اللحم والصوف مما يحمل على الدفء ، وكذلك دوابُّ الزينة ذات المظهر الجميل ، ودوابُّ حمل الأثقال ، ودواب الركوب ، وهي جميع استخدامات الإنسان لهذه الدوابّ ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المؤمنون : ٢١ ، ٢٢) وهذه الآية توضح كذلك بعض فوائد الحيوان للإنسان كالاستفادة بالألبان ، واللحم ، والركوب ، وما غير ذلك من منافع [1].

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : خلق الله الأنعام وسلبها العقل الذي منحه للإنسان فهي على كبر حجمها منقادة ولو أُعطيتْ العقول لامتنعتْ عن طاعته واستعصتْ عليه ، فإنَّك ترى البعيرَ على عِظَمِ خلقه يقوده صبيٌّ صغيرٌ في انقياد وذلٍّ ولو صال عليه البعير لمزقه وسوَّاه بالأرض [2].

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (الأنعام : ١٤٢) وذكر الطبري في تفسيره عن ابن مسعود ، والحسن ، وابن عباس ، ومجاهد رضي الله عنهم

[1] - الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية – د . أحمد مصطفى متولي – دار ابن الجوزي – القاهرة – ط ٢٠٠٥ .
[2] - مفتاح دار السعادة لابن الجوزي .

أن الحمولة ما حُمِّلَ عليه من الإبل وغيرها ، أو أن الحمولة ما حُمِّلَ عليه من كبار الإبل التي لا تستطيع الحمل لصغرها .[1] وقال قتادة والسديُّ والضحَّاك – رحمهم الله – أن الحمولة هي ما حُمِّلَ عليه من الإبل والبغال والخيل وغيرها ، والفرش هي الغنم .[2] ويقول ابن القيم – رحمه الله – : تأمل ظهور الإبل فهي بخلاف ظهور الدوابِّ مُسَنَّمَة كالقبو وهذا يعطيها قوة أكبر فالإقباء تحمل أكثر مما تحمله السقوف ، لذلك فهي تحمل أكثر مما تحمله باقي الدواب .[3]

وسُمِّيتْ الناقة بَدنة كما في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ۝٣٦** ﴾ (الحج : ٣٦) قد سُمِّيتْ بذلك لأنَّها تبدن أي تسمن ، وقال النووي – رحمه الله – : هي البعير في سن الأضحية عند الفقهاء واللغويين ، كما تُطلق على البقر والإبل ، وقال الأزهري : هي الإبل والبقر والغنم ، وذكر الدميري أنَّها خاصة بالإبل لقوله ﷺ في الحديث الصحيح : " **مَنْ اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قَرَّبَ بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قَرَّبَ بقرة ، ومن راح في الثالثة فكأنما قَرَّبَ كبشًا أقرن ..** " .[4]

وأولُ من أهدى البدن للبيت الحرام هو إياس بن مضر جدُّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو أول من وضع مقام إبراهيم بعد غرق البيت وانهدامه منذ طوفان نوح عليه السلام .[5]

وكما يعاقب الله تعالى مَنْ يحلُّ ما حرَّمَ فإنَّه كذلك يعاقب مَنْ يحرِّم حلاله ، قال

[1] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ١٨٥) .
[2] - المصدر السابق .
[3] - مفتاح دار السعادة لابن الجوزي .
[4] - رواه مسلم في صحيحه .
[5] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (المائدة : ١٠٣) وجميع هذه الأصناف كانت تُحرِّمُ العربُ لحومها ، وألبانها ، أو الانتفاع بها في الركوب والخدمة ، ويقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره : إنَّ الله لم يُبَحِّرْ بحيرةً ، ولم يُسَيِّبْ سائبةً ، ولم يُوَصِّلْ وصيلةً ، ولم يحمِ حاميةً ، ولكن الكفار هم الذين فعلوا ذلك افتراءً على الله ..

والبحيرة : هي الناقة إذا ولدتْ خمسة أبطن فيعمدون إليها فيشقون أذنها وينهون عن الانتفاع بها فلا يركبونها ، ولا يحملون عليها ، ولا يَجِزُّون وبرها ، ويتركوها تأكل حيث شاءت فلا تُطْرَدُ من ماءٍ ولا كلأٍ ، ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكرًا نحروه فأكله الرجال والنساء ، وإن كانت أنثى بحروا أذنها – أي شقوها – وتركوها وحرَّموا على النساء لبنها والانتفاع بها ، وكانت منفعةً خاصةً للرجال دون النساء فإن ماتت حَلَّتْ للرجال والنساء . وعن ابن إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقال : **" هل تنتج إبلُ قومِكَ صحَاحًا آذانها فتعمد إلى الموسى فتقطع آذانها ، فتقول هذه بَحْرٌ وتشقها أو تشقُّ جلودها ، فتقول هذه حُرُمٌ ، فتُحَرِّمها عليكَ وعلى أهلكَ ؟ " ، قال : نعم ، قال ﷺ : " فإنَّ ما آتاكَ الله لكَ حلٌّ ، وساعدُ اللهِ أشدُّ وموسى الله أحدُّ – أو قال : ساعدُ اللهِ أشدُّ من ساعدكَ وموسى اللهِ أحدُّ من موساكَ "** [1].

والسائبة : هي الناقة إذا تابعت عشرة إناثًا سُيِّبَتْ وحُرِّرتْ من الخدمة فلم تُركبْ ظهورُها ، ولم يُجزْ وَبَرُها ، ولم يُشربْ لبنها إلا لضيف فما تنجبُ بعد ذلك من أنثى بَحَّرَ

[1] - تفسير ابن كثير (٢ / ١٠٩) .

أذنها أي شقها ثم خلَّى سبيلها مع أمها في الإبل فهي البحيرة بنت السائبة .[1]

و**الوصيلة** : هي الأنثى من الأنعــام التي كانت في الجاهلية إذا ولدت توءمًا ذكرًا وأنثى ، قيل للأنثى أنها وَصَلتْ أخاها فلا يذبحوه ، وقيل هي الناقة تلدُ أولَ صغارِها أنثى ثم تلد بعدها أنثى أخرى فَتُسَيَّبُ .

أما **الحامي** : فهو الفحلُ من الإبلِ إذا لَقَّحَ من صلبه عشرةَ أبطنٍ من الإناثِ متتابعات ليس بينهن ذَكَرًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** ﴿١٣٨﴾ ﴾ (الأنعام : ١٣٨) ، وقيل : هو الفحلُ إذا وُلِدَ مِنْ ولدولده، وقيل :إذا رُكِبَ من ولدولده فيقولون قد حمى ظهره فلا يُركب ، ولا يُحَمل عليه شيءٌ ، ولا يُمنع من كلأ ولا ماء ، فإن مات أكله الرجال والنساء .[2]

وكان أولُ من افترى ذلك من العرب رجل يُقال له عمرو بن لحي ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون – رضي الله عنه – : " **يا أكثم ، رأيتُ عمرو بن لحي يجرُّ قُصْبَهُ**[3] **في النار ، فما رأيتُ رجلاً أشبه برجلٍ منك به ، ولا به منك** " ، فقال أكثم رضي الله عنه : أخشى أن يضرَّني شبهه يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : " **لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنَّه أول من غيَّرَ دينَ إسماعيل – عليه السلام – وبحَّرَ البحيرة ، وسيَّبَ السائبة ، وحمى الحامي** " .[4]

[1] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[2] - المصدر السابق .
[3] -القُصْبُ : المعي .
[4] - رواه الحاكم في المستدرك ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، ورواه الطبراني في التفسير ، وابن إسحاق في السير .

وقد أُشير إلى الإبل في كتاب الله في مواضع كثيرة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (المرسلات : ٣٢ ، ٣٣) وذلك في وصف شرر النار ، قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والضحَّاك – رحمهم الله – أنَّها الإبل السوداء ؛ لأن العرب كانت تسمِّي الإبل السوداء صُفرًا لأن سوادها تشوبه صفرة .[1]

وقال تعالي في وصف أهوال يوم القيامة وانشغال الناس بكروبها : ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ ﴾ (التكوير : ٤) قال عكرمة ومجاهد – رحمها الله – أن العشار هي الإبل وعُطلت أي تُركتْ وسُيِّبتْ . وقال أبيٌّ بن كعب ، والضحَّاكُ – رحمها الله – : أهملتْ يوم القيامة فتُركتْ ولا راعي لها ، وكلمة العِشار في اللغة تطلق على الحوامل منها إذا وصلتْ إلى الشهر العاشر من الحمل ومفردها عشراء وتُسمَّى هكذا حتى تضع حملها .[2] وذكر الإبل العشار في الآية الكريمة توضيحًا لقيمتها وأهميتها عند العرب هذه الأهمية التي قال رسول الله ﷺ فيها : " **الإبلُ عزٌّ لأهلها** ".[3] ورغم هذه الأهمية فقد شغلهم عنها ما هو أعظم وهو وقوع القيامة وأهوالها .

وقال تعالى : ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الواقعة : ٥٥) ، والهيمُ هي الإبل المصابة بداء الاستسقاء فلا تكاد ترتوي من الماء ، وقد شبَّه الله بها الكافرين حال عذابهم في جهنم حيث يشتد بهم العطش والجوع فيلجأون إلى الحميم ليشربونه فيصهر أمعاءهم ويذيب أحشاءهم .

أما أشهر الإبل وأضخمها فهي ناقة نبيِّ الله صالح عليه السلام والتي أوردها الله تعالى

[1] ـ تفسير ابن كثير (٤ / ٤٦٠) .
[2] ـ تفسير ابن كثير – التذكرة للقرطبي .
[3] ـ رواه ابن ماجة في سننه .

من قصص نبيه صالح عليه السلام مع قومه ثمود الذين كذبوه واستهزأوا به فسألوه أولاً أنْ يأتيهم بآية ، قال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الشعراء : ١٥٣ ، ١٥٤) فسألوه أنْ يخرجَ لهم من صخرة صمّاء عيَّنوها بأنفسهم – وكانت صخرة منفردة في الجبل كان اسمها الكاثبة – ناقة عشراء تمخَّض[1] وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يؤمنوا بصدق نبوته إذا هي جاءتهم ، فلما انتهوا قام صالح عليه السلام إلى صلاته فدعا الله عزَّ وجلَّ فتحركتْ تلك الصخرة وانصدعتْ[2] عن ناقة عشراء وبراء [3] يتحرك جنينها بين جنبيها ثم أخذها المخاض فولدتْ فصيلاً ، وأقامتْ الناقة هي وفصيلها تشرب من البئر يومًا وتدعه لهم يومًا ، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها فحذَّرهم أن يمسوها بسوء ، قال تعالى : ﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (الشعراء : ١٥٥ ، ١٥٦) ، وقال تعالى : ﴿ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأعراف : ٧٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ (هود : ٦٤) .

وكانت الناقة عظيمة هائلة الحجم فكانت إذا مرَّتْ بأنعامهم نفرتْ منها ، وكانت في الصيف والحر تسكن المشارف العالية ، بينما تهبط الماشية إلى الأرض الوطيئة ، وفي الشتاء تسكن المناطق المنخفضة الدافئة ، وقرَّرَتْ ثمودُ بما جُبلوا عليه من كفرٍ وعناد

[1] - اقتربت ولادتها .
[2] - انصدع : انشقَّ .
[3] - وبراء : كثيرة الوبر .

أن يقتلوها لكي يستأثروا بالماء كل يوم ، ويسخِّرون من عذابِ الله وأمرِ رسولِه ، فترصَّدوا للناقة وهي في طريقها لبئر الماء وكمنوا لها ورموها بالسهام ، وضربها واحدٌ منهم بالسيف فقطع عُرقُوبها [1] ، وهو الذي أخبر الرسول ﷺ عنه أنَّه أشقى الأولين في النار ، ووصفه فقال ﷺ عنه أُحَيْمر ثمود [2] ، فلما ضرب عُرقوبها خرَّتْ ساقطة ورغتْ رغاة واحدة تحذر فصيلها ثم نحروها ، ولما بلغ صالحًا الخبرُ جاءهم ، ولما رأى الناقة صريعة بكى ، وقال : يا قوم أدركوا هذا الفصيل لعلَّ اللهُ يرفعُ عنكم العذاب إذا أدركتموه ، فراحوا يلتمسونه فلم يجدوه ، وقيل أن فصيلها صعد جبلاً منيعًا ، ثم صعد إلى أعلى صخرة فيها ، ورغا ثلاثة ثم اختفى ، قال الحسن البصري أنَّه قال : يا رب أين أمي ؟ ثم رغا ثلاث ودخل الصخرة فغاب فيها ، فتوعَّدهم صالحٌ عليه السلام بعذاب الله ، قال : ﴿ **فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾** ﴾ (هود : ٦٥) ، وعاينوا العذاب بأنفسهم فأصبحوا في اليوم الأول وجوههم مصفرة ، ثم أصبحوا في اليوم الثاني ووجوههم محمرة ثم اسودَّتْ في اليوم الثالث ، وظلوا ينتظرون العذاب فجاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفلهم ففاضت أرواحهم ولم يفلتْ منهم أحد ، قال تعالى : ﴿ **وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾** ﴾ (هود : ٦٧) ، وقال تعالى : ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾** ﴾ (الأعراف : ٧٨) [3] .

---

[1] - العرقوب من الدابة : ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها ، وفي الإنسان هو وتر غليظ فوق عقبه .

[2] - روى أحمد في مسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ^ليلة أُسري به نظر في النار فرأى رجلاً أحمر أزرق فقال : " **من هذا يا جبريل ؟** " ، فقال : هذا عاقر الناقة . وروى أحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك بسندٍ صحيح أنَّ رسول الله ^ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : " **أشقى الناس رجلان – وذكر منهما أحيمر ثمود الذي عقر الناقة** " .

[3] - تفسير ابن كثير (٢ / ٢٣٣) .

ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله – أن المقصود من قوله تعالى : (﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أن العذاب ينزل بهم في أي مكان يلتمسوه ؛ لأنَّهم في مدة الأيام الثلاثة قد يكون منهم المسافر والمرتحل فيتبعهم العذابُ أينما ذهبوا فلم ينجُ من العذاب سوى رجلٍ اسمه أبورغال كان بالبيت الحرام فأمهله الله بالعذاب حتى خرج من بيت الله فوقع به العقاب فمات .[1] ولا يزال مكانهم معروفاً إلى الآن ويُعرف بالحِجْر قرب تبوك وقد مرَّ به النبيُّ ﷺ بجيش المسلمين في طريقه لتبوك [2] ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لمَّا نزل الرسول ﷺ بالناس تبوك ونزلوا بالحِجْر عند بيوت ثمود فاستسقى الناسُ من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منا ونصبوا القدور فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا [3] القدور ، وعلفوا العجينَ الإبلَ[4] ، ثم ارتحل بهم حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذبوا . فقال : **" إنِّي أخشى أنْ يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم "** .[5] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ وهو بالحِجْر : **" لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، أنْ يصيبكم مثل ما أصابهم "** .[6]

في الحديث الشريف :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ فتلاحق بي

---

[1] - تفسير الشعراوي .
[2] - غزوة تبوك ٩ هـ .
[3] - أهرقوا : سكبوا .
[4] - أي أطعموا الإبل منها .
[5] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأحمد في مسنده ، وذكره ابن هشام في سيرته .
[6] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأحمد في مسنده .

وتحتي ناضح [1] أعيا ولا يكاد يسير حتى ذهب الناس ، فإذا رسول الله ﷺ في آخر النَّاس ، فقال لي رسول الله ﷺ : **" ما لبعيرك ؟ "** ، فقلتُ : عليل ، فمسح في نحره من الماء ثم ضربه ودعا له فوثب ، ثم قال : **" اركب باسم الله ! "** ، قلتُ : إنِّي أرضى أن يُسابق معنا ، قال رسول الله ﷺ : **" اركب ! "** ، فركبتُ ، فوالذي نفسي بيده ، لقد رأيتني وإنِّي لأكفه عن رسول الله ﷺ إرادة ألا يسبقه ، فما ركبتُ دابَّة قبله ولا بعده أوسع ولا أوطأ منه ، وما زال بين الإبل يسير قدامها ، فقال رسول الله ﷺ : **" كيف ترى بعيرك ؟ "** ، قلتُ : بخير ، قد أصابته بركتك .[2] وهكذا كانت معجزة للنبيِّ ﷺ تُضافُ إلى مئات المعجزات التي تبرهن على صدق نبوته ، ومن معجزاته العديدة قصة الجمل الهائج الذي شهد للنبيِّ ﷺ بالنبوة والرسالة ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى دُفعنا إلى حائط [3] من حيطان بني النجار إذ فيه جمل عظيم قطيم[4] لا يدخلُ الحائطَ رجلٌ إلا شدَّ عليه . قال : فجاء رسول الله ﷺ حتى أتي الحائط فدعاه فجاءه واضعًا مِشْفَرَه[5] في الأرض حتى بركَ بين يديه ، فقال النبيُّ ﷺ : **" هاتوا خِطامه[6] ! "** ، فخطمه [7] ودفعه إلى أصحابه ، ثم التفتَ رسول الله ﷺ إلى الناس فقال : **" إنَّه ليس من شيءٍ بين السماء والأرض إلا ويعلم أنِّي رسول الله غير عاصي الجن والإنس "** .[8]

وقصة لجمل آخر أقبل يشتكي للنبيِّ ﷺ ظلمَ صاحبَه فعن يعلى بن مرة الثقفي

---

[1] ـ الناضح : الدابة التي يُستقى عليها .
[2] ـ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأبو نعيم في الدلائل .
[3] ـ الحائط : البستان .
[4] ـ قطيم : هائج .
[5] ـ المشفر من البعير بمنزلة الشفاة من الإنسان .
[6] ـ الخطام : الزمام .
[7] ـ خطمه : ألجمه .
[8] ـ رواه أحمد في مسنده ، والدارمي في سننه ، وأبونعيم في الدلائل .

رضي الله عنه قال :

ثلاثة أشياء [1] رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يُسْنِي [2] عليه فلما رآه البعير جرجر [3] ووضع جرانه [4] ، فوقف عليه رسول الله ﷺ فقال : " **أين صاحب هذا البعير ؟** " ، فجاء . فقال رسول الله ﷺ : **بِعْنِيه !** " ، فقال : لا ، بل أهبته لك . قال رسول الله ﷺ : " **لا ، بل بعنيه !** " ، قال : لا ، بل نهبه لك . قال رسول الله ﷺ : " **أمَّا إذا ذكرتَ ذلك من أمره فإنَّه شكى كثرةَ العملِ وقلةَ العلف ، فأحسنوا إليه !** " .[5]

حقًا فإنَّه نبيُّ الرحمة ليس بالإنس والجن فحسب بل كان مثالاً للرحمة حتى بالدواب والطير ، وهذه قصة بعير آخر يشتكي إلى رسول الله ﷺ قلة الغذاء وكثرة العمل ، فقد خرج النبيُّ ﷺ يومًا فجاء بعيرٌ يرغو حتى سجد له . فقال المسلمون : نحن أحقُّ أن نسجدَ للنبيِّ ﷺ ، فقال النبيُّ ﷺ : " **لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجدَ لغير الله تعالى لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجها ، تدرون ما يقول هذا ؟ زعم أنَّه خدمَ مواليه أربعين سنة ، حتى إذا كبر نقصوا علفه ، وزادوا عمله ، حتى إذا كان لهم عُرسٌ أحَدُّوا الشِّفَارَ[6] لينحروه** " ، فلما أرسل إلى أصحابه فقصُّوا عليهم . قالوا : صدق والله يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : " **إنِّي أحبُّ أنْ تدعوه لي[7]** " ، فتركوه .[8]

---

[1] - الأولى منها ما ورد في هذا الموضع من سياق القصة في الحديث ، والثانية التي رآها راوي الحديث فهي شجرة تشقُّ الأرض حتى جاءت فسلمت على رسول الله ^ ، والثالثة فامرأة جاءت النبيَّ ^ بابن لها مسه الشيطان ، فأخذ النبيُّ ^ بمنخره فقال : اخرج إنِّي رسول الله فبرأ مما كان فيه .

[2] - تسني الإبل : أي يُستقى عليها الماء .

[3] - جرجر البعير : أحدث صوتًا .

[4] - الجِران : مقدم العنق للبعير .

[5] - رواه أحمد في مسنده .

[6] - الشفرة كالسكين ونحوه .

[7] - تتركوه لي .

[8] - رواه أحمد في مسنده .

وهذه قصة جمل آخر سالت دموعُهُ لما رأى رسول الله ﷺ وهو يشكو صاحبه الذي يجيعه ويتعبه ، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : دخل رسول الله ﷺ حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جملٌ ، فلما رأى النبيَّ ﷺ حَنَّ وذرفتْ عيناه[1] ، فأتاه النبيُّ ﷺ فمسح ذِفْرَاه[2] فسكتْ . فقال رسول الله ﷺ : " مَنْ ربُّ[3] هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ " فجاء فتًى من الأنصار فقال : لي يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : " أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي مَلَّكك اللهُ إياها فإنَّه شكى إلَيَّ أنَّكَ تجيعه وتُدْئِبه "[4].

وهكذا حفظ الإسلام لكل شيءٍ حقَّهُ وكرامته حتى الدوابِّ فقال رسول الله ﷺ : " أما بلغكم أنِّي لعنتُ مَنْ وسَمَ البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها "[5]. ونهى رسول الله ﷺ عن لطم خدود الدوابِّ[6]. كما يعلِّمنا النبيُّ ﷺ الرحمة والعدل ، تلك الرحمة التي أثمرتْ في قلوب أصحابه رضي الله عنهم أنَّ أبا الدرداء رضي الله عنه قبل موته قال مخاطبًا بعيرًا له : يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإنِّي لم أكن أحمِّلكَ فوق طاقتك[7].

حكمه :

قال الإمام النووي – رحمه الله - : أكلُ لحم الجمال من الفروق بين أهل السُّنَّة والرافضة ، كما أنَّه أحد الفروق بين المسلمين واليهود ، فالجمل كان محرمًا في الشريعة

---

[1] - أي سال دمعه .
[2] - دمعه .
[3] - ربُّ الشيء : صاحبه .
[4] - رواه أحمد في مسنده ، وأبوداود في سننه .
[5] - رواه أبوداود في سننه .
[6] - رواه أحمد في مسنده .
[7] - إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي .

اليهودية ، وقبل ذلك كان يعقوب عليه السلام قد حرَّمَ أكلَ لحم الإبل اجتهادًا منه ، فقد كان يسكن البادية فلما اشتكى عرق النَّسا وُصِفَ له العلاج في تركها فحرَّمها على نفسه .[1] وقيل أنَّه مرض مرضًا شديدًا فنذرَ إنْ شفاه اللهُ ليَحْرِمَنَّ نفسَه من أحبِّ الطعام إليه ، وكان أحبُّ الطعام إليه لحوم الإبل فامتنع عنها .[2] وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في كتابه العزيز ، قال تعالى : ﴿ **كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾** ﴾ (آل عمران : ٩٣) ، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام .

وقد أحلَّ الإسلام أكلها ، وشرب ألبانها ، والتداوي بأبوالها ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَدِمَ أناسٌ من عكل أو عرينة فاجتووا[3] فأمرهم النبيُّ ﷺ بلِقاحٍ[4] ، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها[5] ، فقد كانت أبوالُ الإبل تُستخدم كدواء قديمًا وحديثًا .[6] وقد اختلف العلماء حول انتقاض الوضوء بأكل لحمه ، وأكثر الآراء أنَّ لحمَه لا ينقض الوضوء ، وإنْ كان الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – يرى أنَّه ينقض الوضوء .[7] لحديث جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه حيث قال : سُئل رسول الله ﷺ : أنتوضأ من لحوم الإبل ؟ فقال رسول الله ﷺ : **" نعم توضأ من لحوم الإبل "** .[8]

[1] - المستطرف للأبشيهي .
[2] - تفسير ابن كثير .
[3] - اجتوى : أصابه الجوى ، وهو مرض داء البطن إذا تطاول .
[4] - اللقاح : ناقة ذات لبن .
[5] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأحمد في مسنده .
[6] - فقه السنة لسيد سابق .
[7] - المصدر السابق .
[8] - رواه أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه .

ونهى النبيُّ ﷺ عن الصلاة في مباركها [1] ، فعن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال : أصلي في مبارك الإبل ؟ قال رسول الله ﷺ : **" لا "** .[2] وعن البرَّاء بن عازب رضي الله عنه قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الصلاة في مبارك الإبل ؟ فقال ﷺ : **" لا تصلُّوا فيها فإنَّها من الشيطان "** .[3]

ونهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الجلاَّلة وشربِ ألبانها ، وكذلك عن ركوبها .[4] والجلاَّلةُ: هي الناقة أو الدابَّة عمومًا التي تأكل العَذِرَة [5] والقَذر فلا تُؤكل إلا إذا حُبستْ زمنًا وعُلفتْ طاهرًا فطابَ لحمُها .[6]

زكاة الإبل :

جعل الإسلام في الإبل زكاةً لقوله ﷺ : **" فإذا بلغت خمسًا وعشرين ففيها بنت مخاض [7] أنثى فإذا بلغت ستًا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون [8] أنثى "** .[9]

ويقول ابن حجر – رحمه الله – في شرح الحديث أنَّه لا يُؤخذ عن الإبل زكاة حتى يبلغ عددها خمسًا عاملة فإذا بلغت خمسًا يُقدم عنها شاة فإذا بلغت عشرًا ففيها شاتان وهكذا كلما زادت خمسًا زادت شاة ، فإذا بلغتْ خمسة وعشرين يُقدم عنها ناقة في عامها الثاني أو الثالث ، فإذا بلغت ستًا وثلاثين يُقدم عنها ناقة في عامها الثالث ، وفي ست وأربعين تُقَدَّم ناقة في عامها الرابع ، وفي إحدى وستين تُقَدَّم عنها ناقة دخلت في

---

[1] - مبارك الإبل : مواضع بروكها وإقامتها .
[2] - رواه أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه .
[3] - رواه أحمد في مسنده ، وأبوداود في سننه ، وابن حبان في صحيحه .
[4] - رواه أحمد في مسنده ، وأبوداود والنسائي في سننيهما .
[5] - العَذِرَة : الغائط .
[6] - فقه السنة لسيد سابق .
[7] - بنت مخاض : الناقة لها سنة وحخلت في الثانية .
[8] - بنت لبون : الأنثى لها سنتان ودخلت في الثالثة .
[9] - رواه البخاري في صحيحه .

عامها الخامس ، وفي ست وسبعين تُقدَّم ناقتان دخلتا في عامهما الثالث ، وفي إحدى وتسعين ناقتان أتمتا عامهما الثالث ، وكذلك حتى مائة وعشرين ، فإذا ازدادت ففي كل أربعين تُقدَّم ناقة أتمت سنتان ، وفي كل خمسين تُقدَّم ناقة أتمت ثلاث سنوات .[١]

وقد توعَّدَ الله تعالى بالعقاب من لم يؤدحقها من الزكاة بالعذاب قال ﷺ : **" .. ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاعٍ قرقرٍ[٢] أوفر ما كانت ، لا يفقد منها فصيلاً واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنَّة وإما إلى النَّار "** .[٣]

إبل النبيِّ صلى الله عليه وسلم :

أشهر إبل النبيِّ ﷺ هي : " **القصواء** " وهي ناقة اشتراها أبوبكر رضي الله عنه ومعها أخرى بثمانمائة درهم ثم اشتراها النبيُّ ﷺ منه بأربعمائة درهم وكانت عنده حتى نفقتْ ، وكانت تسمَّى كذلك " **العضباء** " و" **القصواء** " وهما اللتان في أذنيهما قطع يسير – فقد كانت العرب في الجاهلية تُوسِمُ أصناف الأنعام ، وكذلك فقد وَسَمَ الإسلام بعضها كإبل الصدقة – كما كانت تسمَّى هذه الناقة " **الجدعاء** ". وقد هاجر النبيُّ ﷺ عليها ولما وصل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وتنازع المسلمون كلٌّ منهم يريد أنْ يُضَيِّفَ النبيَّ ﷺ فيأخذ بزمامها كان النبيُّ ﷺ يقول لهم : **" خلُّوا سبيلها إنَّها مأمورة "** ، فانطلقتْ الناقةُ حتى وصلتْ إلى دار بني مالك بن النجَّار وبركتْ في

[١] - فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر .
[٢] - قرقر : مكان مستوٍ من الأرض .
[٣] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، واللفظ لمسلم .

موضع باب مسجده عليه الصلاة والسلام وقد كان هذا الموقع مربدًا[1] لغلامين يتيمين من بني النجَّار ، وبركتْ فلم ينزل عنها رسول الله ﷺ وكان واضعًا لها زمامها ثم التفتت خلفها فرجعتْ إلى مبركها الأول فبركتْ فيه ، فنزل عنها رسول الله ﷺ وسأل عن المربد لمن هو فقيل هو لسهل وسهيل ابني عمرو فاشتراه منهما وبنى مسجده الشريف .[2] وكانت هذه الناقة لا تُسبق في أي سباق وذات يوم سبقتها ناقة أُخرى فشقَّ ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ : **"حقٌّ على الله ألاَّ يرفعُ شيئًا من الدنيا إلا وضعه "** ،[3] وقد شُرفتْ هذه الناقة بنزول الوحي على رسول الله ﷺ وهو يركبها ، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالتْ : إنِّي لآخذ بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذ نزلتْ عليه المائدة كلها وكادتْ من ثقلها تدقُّ عضد الناقة .[4] وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : أُنزلتْ على رسول ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أنْ تحمله فنزل عنها .[5] وكان له ﷺ جملٌ يسمَّى **"الثعلب"** ، ونياق منها : **"الحنَّاء"** و**"السَّمراء"** ، و**" العُرَيِّس"** و**"السَّعدية"** ، و**"البَغوم"** ، و**" اليُسَيْرَة"** ، و**"الرَّيا"** ، وقام النبيُّ ﷺ ففرَّقها على زوجاته فكانت **"السَّمراء"** لعائشة ، و**" لعُرَيِّس"** لأم سلمة .[6] وفي غزوة بدر غنم رسول الله ﷺ جملَ أبي جهل واسمه **"المُكْتَسَب"** .[7]

وُروي أن رسول الله ﷺ أُهدِيَ له مائة من الإبل هَدْيَ[8] تطوُّعٍ ، واتفق العلماء أن

---

[1] ـ المربد : مكان يُجفف فيه التمر .
[2] ـ السيرة النبوية لابن هشام .
[3] ـ رواه أحمد في مسنده ، وأبوداود في سننه .
[4] ـ رواه أحمد في مسنده .
[5] ـ المصدر السابق .
[6] ـ نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[7] ـ المصدر السابق .
[8] ـ الهَدي : ما يُهدى من الأنعام للحرم تقربًا إلى الله تعالى .

الهَدي يكون أفضله الإبل ، ثم البقر ، ثم الغنم على الترتيب ، ويشترك سبعة في الناقة وكذلك البقرة أما الشاة فواحد .[1]

في المثل العربي :

لأنَّ الإبلَ كانت مألوفةً لدى العرب لذا فقد استخدموها كثيرًا في أمثالهم ، فقالوا : " **لا ناقتي فيها ولا جملي** " يُضربُ عند التبري من الظلم والإساءة ، وأصل المثل للحارث بن عبادة ، وقيل لصدوف بنت حليس العذرية . وقالوا : " **ما هكذا يا سعد تُورَدُ الإبل** " يُضَربُ لمن تكلَّفَ أمرًا لا يحسنه ، و" **يا إبل عودي إلى مباركك** " يُضَربُ لمن يفرُّ من الشيءِ الذي لابد منه .[2] وقالوا : " **ما استتَرَ مَنْ قاد الجمل** " ويُضَربُ لمن يأتي أمرًا لا يمكن إخفاؤه .

في الرؤيا :

يُؤول الجملُ الواحدُ رجلٌ فإنْ كان من العرب فهو عربيٌّ وإن كان مِنْ البُخت فهو أعجميٌّ ، وقيل الجمل في المنام حج ، والناقة امرأة ، أو سنة ، أو سفينة فمن ملكها ، أو ركبها تزوَّج إن كان عزبًا ، أو سافر إنْ كان على سفرٍ ، ومَنْ رأى ناقة مجهولة تدرُّ لبنًا فإنَّها سنة خصب . والإبل الكثيرة إذا دخلت مدينة فهي سحبٌ ومطرٌ ، ومَنْ رأى أنَّه مَلَكَ إبلاً فإنَّه يقهر رجالاً لهم أقدار . والمريض إذا ركب بعيرًا للسفر مات ، ومَنْ كان معافي وركبه لغير سفرٍ أصابه مرضٌ وهمٌّ ، وإن ركبته امرأة لا زوج لها تزوجتْ ، وإنْ كان زوجها غائبًا قدِمَ عليها . ومَنْ رأى جملاً مذبوحًا في دارٍ ماتَ صاحبُها إن كان مريضًا فإن قُسِّمَ لحمُه فهو ميراث الرجل . ومَنْ قاتل أو نازع جملاً قاتل رجلاً ، ومَنْ

[1] ـ فقه السنة لسيد سابق .
[2] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .

رأى أنَّه أكلَ لحمه مرضَ ، ومن رأى أنَّه يحلب ناقة أصاب مالاً حلالاً . ومن حلبَ ناقة فسالَ دمًا فإنَّه مالٌ حرامٌ ، ومن رأى ناقته ضاعت ، أو سُرقتْ تفارقه زوجتُه .[1]

١٥- حُبَارَى

الحُبارى طائرٌ ينتمي لرتبة الكركي وفصيلة الحُبارى ، ويضمُ جنسُ الحُبارى نحو ثلاثين نوعًا ، وهو طائر كبير الحجم نسبيًا يعيش في المناطق الصحراوية والسهلية ، تبني الأنثى عشها في حفرة في الأرض لتضع بها نحو ثلاث بيضات تفقس بعد ثلاثة أسابيع ، ومن غريب أمرها أنَّها تحضن البيض في درجة حرارة ثابتة لا تتغير في صيف أو شتاء ، وهي ٣٣°م فقد منحها الله القدرة على استشعار أدنى تغير في درجة الحرارة ولو بلغت عُشر درجة مئوية ، وهي تتحكم في درجة الحرارة كالتالي : إذا ارتفعت درجة الحرارة هالت علي البيض الرمال فتقل درجة الحرارة ، وإن انخفضت وضعت فوقه ركامًا نباتيًا متحللاً لترتفع بذلك درجة الحرارة من حول البيض .

في اللغة :

الُحبَارَى : طائرٌ طويل العنق رمادي اللون طويل المنقار ، وهو من جنسٍ يقع على الذكر والأنثى ، وواحده وجمعه سواء ، ويمكن أنْ يُجمع **حباريات** .[2] كما يسمَّى ذكر الحُبارى : **خَرَبٌ** ، والجمع : **خِرْبَانٌ** ، والفرخ :**جَنْبَرٌ** ، والصغير :**حُبْرُرٌ** .[3]

في الأدب :

ورد في " المصايد والمطارد " أنَّها تأكل كلَّ شيءٍ حتى الخنافس ، ومن عاداتها أنَّه إذا

---

[1] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٥٩ ، ١٦٠) .
[2] - المعجم الوسيط (١ / ١٥١) – حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - الإفصاح في فقه اللغة .

طاردها جارحٌ فإنَّها تطرح عليه برازها فيتمعطَ [1] ريشُ عدوه ويتلبك فلا يستطيع الطيران . قال الجاحظ : هو أشد الطير طيرانًا وله خزانة بين دبره وأمعائه به مادة لزجة يذرقها [2] على عدوه فيتلبك ريشه ، وهو يتغذى ببرازه هذا إذا جاع ولم يجد طعامًا ، والحُبارى يأكل كل ما على الأرض حتى الخنافس ، لذلك يُعاف أكله [3].

في القرآن الكريم :

ذكر ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴿٦١﴾ ﴾ (النحل : ٦٢) ما رواه أبوسلمة رضي الله عنه قال : سمع أبوهريرة رضي الله عنه رجلاً يقول : إنَّ الظالم لا يضرُّ إلا نفسه ، قال : فالتفتَ إليه أبوهريرة رضي الله عنه ، وقال :بلى والله حتى أن الحُبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم [4].

في الحديث الشريف :

عن يزيد بن عمر بن سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ عن أبيه عن جده سفينة رضي الله عنه قال : أكلتُ مع رسول الله ﷺلحم الحُبارى [5].

وهو من الطيبات المحلل أكلها ، وذكر ابن القيم – رحمه الله –أنَّه حارٌّ يابس عَسِرَ الانهضام ، نافع لأصحاب الرياضة والتعب [6].

في المثل العربي :

[1] - يتمعط الريش : أي يتلبك .
[2] - ذرقَ الطائر : أي رمى بسلحه أي برازه .
[3] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[4] - تفسير ابن كثير (٢ / ٥٩١) .
[5] - رواه أبوداود في سننه وحسّنه ، والترمذي في سننه .
[6] - الطب النبوي لابن القيم .

قال العربُ : " **أسلح من حُبَارى** " فهي تلقي سلحها[1] على الصقر فيتلبك ريشه وقد يُنتف ريشه كله ،[2] وقالوا : " **ماتَ فلان كَمَدَ الحُبَارى** " .[3]وذلك لأن الحُبارى إذا نُتِفَتْ أو غيَّرتْ ريشها وأبطأ نبات ريشها وطارتْ صويحباتها ماتت كمدًا ،[4] وورد في مجمع الأمثال أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقول : كلُّ شيءٍ يحبُّ ولده حتى الحُبارى ، وقد خُصَّتْ الحُبارى بالذكر هنا لأنَّها مضربُ المثل في الحمق ، وهي على حمقها تحب ولدها فتطعمه وتعلِّمه الطيران كغيرها من الطير .[5]

في الرؤيا :

يُؤول الحُبارى في الرؤيا على أنَّه رجلٌ أكول مُوسر سخيٌّ كثيرُ النفقة ،[6] وقيل رجلٌ سخيٌّ صاحبُ دخلٍ ، بلا منفعة كثير الأكل والتعب لايفتر ليلاً ونهارًا .[7]

١٦– حِـــدَأةٌ

الحدأةُ طائرٌ جارحٌ ينتمي إلى رتبة وفصيلة الصقور والعقبان ، ويضمُ جنس الحدأة ٣٠ نوعًا : منها الحِدأة المصرية ، والحِدأة الحمراء ، والحِدأة السوداء . وهي تأكل صغار الطيور ، والحمام ، والدواجن ، كما تتغذى بالفئران ، والقوارض الصغيرة ، وفي حالة ندرة الغذاء تأكل الجيف . وهي تبني أعشاشها في أعالي الأشجار ، وتضع

[1] ـ السلح : برازها .
[2] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] ـ مجمع الأمثال .
[4] ـ الحيوان للجاحظ .
[5] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[6] ـ تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧١) .
[7] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .

٢ – ٤ بيضات تفقس بعد فترة تقارب ثلاثة أسابيع ، وأهم ما يميِّز هذا الطائر قدرته على التحليق في الأجواء العالية دون أن يحرك جناحيه معتمدًا على تيارات الهواء فيبدو واقفًا في جَوِ السماء .

في اللغة :

الحِدَأَةُ : (بكسر الحاء وفتح الدال والهمزة) طائر معروف من الجوارح ينقضُّ على الجرذان والدواجن ، والجمع : **حِدَأٌ** ، و**حِدْآنٌ** .[1] وهو أخسُّ الطير ، وكنيته : **أبو خطَّاف** حيث يشتهر بالخطف ، و**أبو الصلت** .[2]

في الأدب :

من طباعها أنَّها تقفُ في الطيران وليس ذلك لغيرها من الكواسر ، ومن خواصها أنَّها لا تصيدُ ، ولكن تخطف ، وهي لا تخطف إلا من يمين من تخطف منه دون شماله حتى أن بعض الناس يقولون أنها عسراء – أي تستخدم يدها اليسرى – وقد زعم بعض رواة الأخبار ونقلة الآثار أنَّها كانت من جوارح سليمان عليه السلام وامتنعت أن تُؤْلَفَ أو تُملك لغيره لأنَّها من المُلْكِ الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده ، وهو قول سليمان عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في كتابه : ﴿ **قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾** ﴾ (ص : ٣٥) .[3]

وقيل في صياحها أنَّها تقول : كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ .[4]

في الحديث الشريف :

الحِدْأة من الحيوانات المأمور بقتلها في الحلِّ والحرم حيث أمَرَ رسول الله ﷺ بقتلها

---

[1] - المعجم الوسيط (١ / ١٥٩) – المعجم الوجيز (ص ١٣٨) .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[4] - المصدر السابق .

باعتبارها من الفواسق الخمس ، قال ﷺ : " **خمسٌ يُقتلن في الحلِّ والحرمِ** – وذكر منهن – **الحِدْأَةُ** " .[1]

وقد وردتْ للحدأة قصة فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قالت أن وُلَيْدَة [2] كانت سوداء لحيٍّ من العرب فأعتقوها فكانت معهم . قالت : فخرجتْ صبيةٌ لهم عليها وشاحٌ [3] أحمر من سُيُور[4] فوضعته – أو وقع منها – فمرتْ حُدَيَّاة وهو مُلقى فحسبته لحمًا فخطفته . قالتْ : فالتمسوه [5] فلم يجدوه . قالت : فاتهموني به . قالت : فطفقوا يفتِّشون حتى فتَّشوا قُبُلَها [6] . قالت : والله إنِّي لقائمة معهم إذ مرَّتْ الحُدَيَّاة فألقته ، قالت : فوقع منهم . قالتْ : هذا الذي اتهمتوني به زعَمتُم ، وأنا منه بريئة وهو ذا هو . قالت : فجاءتْ إلى رسول الله ﷺ فأسلمتْ . قالتْ عائشة : فكان لها خِبَاءٌ [7] في المسجد أو حِفْشٌ [8] ، قالتْ : فكانت تأتيني فَتُحَدِّثُ عندي . قالتْ : فلا تجلسُ عندي مجلسًا إلا قالت :

ويومَ الوشاح من أعاجيب ربِّنا ' إنَّه من بلدةِ الكفرِ أنجاني

قالتْ عائشةُ : فقلتُ لها : ما شأنكِ ألا تقعدين معي مقعدًا إلا قُلتِ هذا ؟ قالتْ : فحدثتني بهذا الحديث .[9] وهذا الحديث يبيِّنُ كيف ينصر اللهُ المظلوم فقد اتَّهموها ظلمًا فبعث الله تعالى هذا الطائر فألقى الوشاح فكان دليل برائتها ، كما يعلمنا هذا الحديث ضرورة الخروج من دار الكفر أو البلد التي يُستضعفُ بها الإنسان ويُستذَلُ ، وكذلك

---

[1] - رواه أحمد في مسنده .
[2] - وليدة : أمة أو جارية .
[3] - الوشاح : نسيج عريض مرصع بالؤلؤ تشده المرأة على رقبتها وكتفيها .
[4] - جمع سير ، وهو شريحة من الجلد ونحوها .
[5] - التمسه : بحث عنه .
[6] - أمامها .
[7] - خِبَاءٌ : خيمة من وبر .
[8] - الحِفشُ : بيت صغير من بيوت الأعراب منخفض السقف .
[9] - حديث موقوف على السيدة عائشة رضي الله عنها رواه البخاري في صحيحه .

يفيدُ إباحة المبيت في المسجد عند عدم أمن الفتنة [1].

وروى الحافظ النسفي في " فضائل الأعمال " أن عاصم بن أبي النجود شيخ القرَّاء في زمانه قال : أصابني الفقر فذهبَ إليَّ بعض إخواني فأخبرته بأمري فرأيتُ في وجهه الكراهة فخرجتُ من منزله إلى الجبَّانة [2] فصليتُ ما شاء الله ثم وضعتُ رأسي على الأرض ، وقلتُ : يا مسببَ الأسبابِ ، يا فاتح الأبواب ، يا سامع الأصوات ، يا مجيب الدعوات ، يا قاضي الحاجات ، اكفني بحلالك عن حرامك ! واغنني بفضلك عمَّن سواك ! فوالله ما رفعتُ رأسي حتى سمعتُ وقعةً بقربي فإذا بحدأة قد طرحتْ كيسًا أحمرَ فقمتُ فأخذته فإذا فيه ثمانون دينارًا وجوهرة ملفوفة في قطنٍ . قال : فاتجرتُ بذلك واشتريتُ عقارًا وتزوجتُ [3].

حكمها :

يحرم أكلها لأنها من الفواسق المأمور بقتلها . قال الخطابي : المراد بفسقها تحريم أكلها [4].

في المثل العربي :

يُضَرَبُ بها المثلُ في الخطفِ فيقول العربُ : **" أخطف من حدأة "** ، وقالوا : **" حدأة حدأة وراءك بندقة "** ، قال أبوعبيدة : يُراد بهذا المثال التحذير [5].

في الرؤيا :

تدل رؤيتها على الحرب والقتال . وقيل تـُؤول الحدأة أنَّها مَلِكٌ خامل الذكر

---

[1] ـ فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر .
[2] ـ الجبانة : المقابر .
[3] ـ المستطرف للأبشيهي .
[4] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[5] ـ جمهرة الأمثال .

شديد الشوكة متواضع ، وقيل ظالم ، فمن رأى أنَّه ملكها فصادت له أصابَ مُلكًا أو مالاً ومن أصابها وُلِدَ له غلامٌ ، فإنْ طارت مات الولد . وقيل : تُؤول صغارها أولادًا . وقيل : تُؤول الواحدة منها امرأة خائبة ، وقيل : تدلُّ الحدأة على الخطافين كاللصوص قاطعي الطرق .[1]

١٧- حِصَانٌ

الحصان من الثدييات من رتبة ذات الأصابع الفردية وفصيلة الخيول . يُقال أن مواطنو آسيا هم أول من استأنسوه ثم نقلوه إلى الصين وآسيا الصغرى وأوروبا ، ويرجع ظهوره في إفريقيا إلى نحو عام ١٥٠٠ ق.م تقريبًا . وجسم الحصان مهيأ للعدو مسافات طويلة فرأتيه تتنفسان بصورة أبطأ من غيرها لدى الحيوانات ، كما أنها واسعة بالقدر الذي يتيح له أخذ أكبر قدرٍ من الهواء ، وكذلك فتحتا الأنف متسعتان . تلد الأنثى صغيرًا واحدًا بعد فترة حمل ١١ شهرًا ، ويستطيع الصغير أن يقفَ بعد نصف ساعة من ولادته ، ويعيش الحصان نحو أربعين عامًا ، وإن كان الرقم القياسي في ذلك لحصان مات وعمره ٦٢ عامًا . ويضم جنس الخيل سلالات عديدة أشهرها : الحصان العربي فهو أجملها وأكثرها رشاقة ، حيث يمتاز بسرعته وخفته ، كما أنَّه قوي التحمل إذ يستطيع أن يسير براكبه مسافة تصل إلى مائة كيلومتر في الصحراء بلا طعام أو شراب ، ومن صفاته الشكلية المميزة دقة أذنيه ، وسعة عينيه ، وعرض جبهته ، وصغر رأسه ، وتقوس عنقه ، واستقامة ظهره ، ويتراوح وزنه بين ٣٥٠ – ٤٥٠ كيلوجرامًا .

---

[1] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧٥ ، ١٧٦) – حياة الحيوان الكبرى للدميري .

في اللغة :

الحصان : هو الذكر من الخيل ، والجمع : **حُصُنٌ** ، ويُقال للجميع : **الخَيـلُ** ، وهو جمع ليس له مفرد ، وصيغة جمع الجموع منه : **خيُولٌ** .[1] والفرسُ واحد الخيل ، والجمع : **أفْرَاسٌ** تُقَالُ للذكر والأنثى على السواء ، وأصله التأنيث فلا يُقال فرسة ، واللفظ مشتقٌّ من **الافتراس** ؛ لأنها تفترس الأرض بسرعة مشيها ، ويُسَمَّى راكب الفرس : **فارس** .[2] ويُسَمَّى ولد الفرس عند مولده : **مُهْرٌ** ، فإذا بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر سُمِّيَ : **الخـرُوفُ** ، وإذا بلغ سنة سُمِّيَ : **فَلَـوٌّ** ، وصوت الحصان : **الصَّهِيلُ** .[3]

وتنتشر بيننا بعضُ الأسماء التي تحمل من أسماء وصفات الخيل ، مثل : **دُرِّيَة** : وهي الفرس كثيرة الجري ، و**وَاصِفة** : وهي المهرة ، و**هيكل** : وهو الفرس الطويل ، و**عريان** : وهو الفرس طويل القوائم .

في الأدب :

وُصف الفرسُ بأنَّه أحسن الحيوان شكلاً بعد الإنسان وأرشدها ذكاءً . وبلغ من ذلك ما ذكره الدميري في " حياة الحيوان الكبرى " أن أشقر بن مروان – وكان سائسًا – كان لا يدخل على فرسه إلا بإذنه فكان يحرك له المخلاة فإن حمحم دخل ، وإن دخل عليه ولم يحمحم شدَّ عليه الفرس .

ومن صفاته : الزهو ، والخيلاء ، والسرور بنفسه ، وما سُمِّيَ خيلاً إلا لاختياله في مشيه ، وهو شديد المحبة لصاحبه ، ومن شرفه أنَّه لا يبول ولا يروث ما دام الراكب

[1] ـ الإفصاح في فقه اللغة .
[2] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] ـ الإفصاح في فقه اللغة .

عليه . وهو يمتاز بحدة البصر ، وهو لا يشرب الماء إلا كدرًا حتى أنَّه يرد الماء الصافي فيضربه برجله حتى يعكره ؛ لأنه يفزع من صورته في الماء .[1]

والخيل نوعان :   عتيق ويُسمَّى فرسًا ، وهجين ويُسمَّى برذونًا ، وما سُمِّيَ العتيق عتيقًا إلا لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة ، فالعتيق هو الكريم من كل شيء، والعتيق بمنزلة الغزال ، أما البرذون فبمنزلة الشاة من . والفرس أسرع وعظامه أصلب وأثقل ، وإنْ كان البرذون أحمل من الفرس وأعظم جسمًا ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طريقه لفتح بيت المقدس فعُرِضَ عليه فركبه فجعل يتبختر به فنزل عنه وضرب وجهه وقال : لا علَّمَ اللهُ من علَّمك هذا الخيلاء ، ولم يركب برذونًا قبله ولا بعده .[2]

ورُويَ أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعمرو بن معد يكرب رضي الله عنه : كيف معرفتك بعراب الخيل ؟ قال : معرفة الإنسان بأهله وولده ، فأمر بأفراس فعُرِضتْ عليه فقال : قدِّموا لها الماء في تراس[3] فمن شرب دون أن يثني رجليه فهو عربي .[4]

ورُويَ أنَّ أبا عبيدة رضي الله عنه كان يستطيع أن يميز الحصان العتيق عن غيره بصفاته الجسمية مثل : رقَّة جحافله[5] وأرنبته[6] ، وسعة منخره ، ولين شعره ، وغيرها من الصفات .[7]

[1] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[2] - المستطرف للأبشيهي .
[3] - تراس : قصعة من حديد .
[4] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[5] - الجحافل من الخيل بمنزلة الشفاة من الإنسان .
[6] - الأرنبة : طرف الأنف .
[7] - المستطرف للأبشيهي .

وقالوا عن الحصان الجيد أنَّه قصير ثلاث ، وطويل ثلاث ، وواسع ثلاث ، وصافي ثلاث :

قصير : الظهر ، والساق ، والعيسب [1] . **طويل** : الأذن ، والعنق ، والذراع .

واسع : الجبهة ، والمنخر ، والجوف . **صافي** : الجلد ، والعينين ، والحافر [2].

وقال شاعرٌ في وصف الفرس :

له صدرُ طاوسٍ وفخذُ نعامة ووثبة نمر والتفافُ غزال

وأعْجَبُ من ذا كلما حَطّ حافرًا يخطُّ هلالاً من وراء هلال

وقيل أنَّ هارون الرشيد ركب إلى الميدان فجئ إليه بفرسٍ أدهم [3] يُقال له الرَّبَد فسُرَّ به ، وقال للأصمعي : صفه من قَوْنَسه [4] إلى سنبكه [5] ! فإنَّه يُقال أنْ فيه عشرين اسمًا من أسماء الطير .

فقال الأصمعي :

– **النسر** : وهو ما ارتفع من باطن الحافر من أعلاه

– **الهامة** (البومة) : أعلى الرأس

– **النعامة** : جلدة الرأس التي تغطي الدماغ –

الفرخ : الدماغ

– **الصردان** (**الصُّرَدُ** : طائر معروف) : عِرقان في اللسان

– **العُصفور** : أصل منبت شعر الناصية

[1] - العيسب : عظام الذنب لذي الأربع .
[2] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .
[3] - الأدهم : خالص السواد .
[4] - القونس : مقدمة رأس الخيل .
[5] - السنبك : طرف حافر الدابَّة .

- **الديكان** : عظمان ناتئان خلف الأذنين

- **الدجاجة** : اللحم الذي على زوره بين يديه

- **الناهض** (فرخ العقاب) : وهو لحم المنكبين

- **السماني** : في سالفة [1] الفرس

- **الغراب** : رأس الورك

- **الخطاف** : أحد المركلان [2]

- **السمامة** : دائرة في عنق الفرس .

- **الصقر** : دائرة الرأس

- **القطاة** : مقعد خلف الردف

- **الحُرُّ** (ذكر الحمام) : سواد في ظاهر أذنيه

- **الحدِأة** : سالفة الفرس

- **الخَرَبُ** (ذكر الحُبارى) : في ورك الفرس

- **الغُرُّ** (الرَّخمة) : عضلة الساق

- **الصَلصَل** : بياض في طرف الناصية .

فسُرَّ الرشيدُ وأعطاه عشرة آلاف درهم [3].

وذكر المأمون أحجية تحمل أسماء الحيوان وصفاته ومن بينها أسماء أعضاء جسم الفرس ، فقال :

رُبَّ ثورٍ رأيتُ في جحرِ نملٍ   طـاةٍ تحمـلُ الأثقـالَ

---

[1] - السالفة : جانب العنق .
[2] - المركلان : موضعا رجلي الراكب .
[3] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .

ونسـور تمشـي بغـير رءوس	لا ولا ريشٍ تحمـل الأبطالا
وعجوزٍ رأيتُ في بطنِ كلبٍ	جُعـل الكلبُ للأميرِ جمـالا
وغـلامٍ رأيتـهَ صــار كلبًـا	ثم من بعد ذلك صار غزالا
وأتـان رأيـتُ واردة المــا	ء زمـانـًا ومـا تـذوق بَـلالا
وعقابٍ تطيرُ من غيرِ ريشٍ	وعُقــابٍ مقيمـةً أُحـــوالا

ففسرها قائلاً :

الثور : النمـل الـذي يُخرِجُ الـتراب مـن الجحـر بفيـه ، و**القطـاة** : موضـع الـردف مـن الفرس ، و**النسور** : هي بطون حوافر الفـرس ، و**العجـوز** : السـيف ، و**بطـن الكلـب** : الجلد الذي يُصنعُ منه غمد السيف ، و**صار** : أي ضـم ، ومنهـا قولـه تعـالى : ﴿ **قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ** ﴾ (البقرة : ٢٦٠) ، و**أتان** (أنثى الحمار) : صخرة ، و**العقاب** : البكرة ، و**المقيمة أحوالاً** : هي اللواء .[1]

وكان العرب يحبون الخيل ويرون فيها عزًّا وشرفًا ، حيث يقول الشاعر :

أحبوا الخيلَ واصطبروا عليها	فـإن العـزَّ فيهـا والجمـــالا
إذا مـا الخيـلَ ضيَّعها أنـــاسُ	ربطنـاهـا فـأشـركـتْ العيـــالا
نقاسِمُهـا المعيشـة كلَّ يـــومٍ	وتُكْسِبُنا الأبـاعر والجَمالا[2] [3]

ورُويَ أنَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه أهدى لمعاوية رضي الله عنه ثلاثين فرسًا من خيل مصر .[4] وكان خـالد بن الـوليـد رضي الله عنه لا يركب في القتال إلا الإنـاث لقلـة

[1] - العقد الفريد (جـ ٨) لابن عبد ربه الأندلسي .
[2] - الأبيات مذكورة في حياة الحيوان الكبرى للدميري مع اختلاف مصراع البيت الأخير ورد كالآتي (ونكسوها البراقع والجلالا) .
[3] - المستطرف للأبشيهي .
[4] - المصدر السابق .

صهيلها .[1]

وقيل أن أقدم خيل العرب كان اسمه " زاد الراكب " وكان من خيل سليمان بن داود عليهما السلام ، كان قومٌ من الأزد من أصهاره في ضيافته فلما فرغوا من حوائجهم قالوا : يا نبيَّ الله إن أرضنا شاسعة فزودنا زادًا يبلغنا ، فأعطاهم فرسًا من خيله فساروا به ، واستخدموه في القنص فلم يفتهم شيءٌ من غزال ، أو بقر ، أو حمار إلا اقتنصوه ، ولما وصلوا سمُّوه " زاد الراكب " .[2]

في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل : ٨) ، وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران : ١٤)

ويقول المفسرون أن حبَّ الخيل على ثلاثة أقسام :

الأول : يربطها فيه أصحابها لتكون معدَّة في سبيل الله متى استعدوا للغزو ، وهؤلاء يُثابون .

الثاني : تُربَطُ تكبُّرًا على أهل الإسلام ، فهذه على صاحبها وزر .

الثالث : للتعفف واقتناء نسلها ورعاية حق الله فيها ، فهذه لصاحبها ستر .[3]

وقد أمر الله تعالى باقتناء الخيل وإعدادها للجهاد في سبيل الله وهذا مصداقًا لقوله

---

[1] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[2] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .
[3] - تفسير ابن كثير (٢ / ٥٧٩) .

تعـــالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾

(الأنفال : ٦٠) ، ويقـول الشيخ الشعراوي – رحمه الله – في تفسير الآيـة : إن لفـظ ﴿ رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ يشتمل على إعجاز لفظي ، فرباط الخيل هو مـا يُستخدم في احتلال الأرض ، وإلى الآن تُقـاس القـوة المحركـة بالحصـان فيُقـال قـوة المحـرك عشرـين أو ثلاثين حصانـًا .[1]

وعـن يـزيـد بن عبـد الله بن عـريـب المليكي عـن أبيـه عن جده عن النبيِّ صلى الله عليه وسـلم قـال : نزلـتْ هـذه الآيـة : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ (البقرة : ٢٧٤) في أصحاب الخيل .[2]

وقـد أقسـم الله تعـالى بالخيـل التي تعـدو في سبيله ، فقـال : ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾ (العاديات : ١ – ٥) وهي الخيل يقاتل المسلمون على ظهورها فيعدون بهـا فتضبح أي يتردد صوت أنفاسها عاليًا وهي تجري (تنهج) وتصـطك أقدامها في الصـخر فتقـدح نارًا وتثير الغبار .[3]

ووردت قصة للخيل مع نبيِّ الله سليمان عليه السلام في قـوله تعـــالى : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ (ص : ٣١) قال مجاهد : الصافنات هي الخيل التي

---

[1] - تفسير الشعراوي .
[2] - تفسير ابن كثير – تفسير الطبري .
[3] - تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤١) .

تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة ، وقال كذلك : هي الجياد السِّراع ، وقال الكلبي : إنَّها كانت ألف فرس ورثها سليمان عليه السلام عن أبيه داود عليه السلام وقد انشغل نبيُّ الله سليمان عليه السلام بعرضها حتى توارت الشمس بالحجاب وفاتته صلاة العصر ناسيًا ، فقال : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (ص : ٣١) قال : والله لا تشغليني عن عبادة ربي ثم أمر بها فعُقرتْ ، وقال السديُّ : ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف ، وقال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه جعل يمسحُ أعراف الخيل وعراقيبها حبًّا لها ، ويؤيد ابن جرير الطبري هذا القول لأنه عليه السلام لم يكن ليعذبَ حيوانًا أو يهلكه بلا سبب جناه سوى أنَّه اشتغل به عن صلاته بالنظر إليه ولا ذنب لها ، فعوَّضه الله عنها بالريح سخرها له تقله ومن معه حيث شاء ، قال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (ص : ٣٦) .[1]

ولنتأمل الإعجاز العلمي في قوله تعالى : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (ص : ٣١) برجوعنا لما ورد في كتاب " أصول الطب البيطري " وتحت عنوان : " الاقتراب من الحيوانات " وكان نصه : " للحيوانات الأهلية أمزجة متباينة وطباع تتقلب بين الدِّعة والشراسة لذلك يتطلب الاقتراب منها حرصًا وانتباهًا عظيمين خصوصًا للغريب الذي لم يسبق له معاملتها أو خدمتها . وفي الخيل يجب أن يُظهِرَ الفاحصُ للحصان كثيرًا من العطف وهو يقترب منه ، فيربتَ على رأسه ورقبته ويمسح على ظهره فيطمئن إليه ويعلم أنَّ القادم صديق فلا يتهيج أو يرفس ، ولما

[1] - تفسير ابن كثير (٤ / ٣٤) .

كانت أهم أجزاء الحصان قوائمه لأنَّه يجري بها ، والجري من أهم صفات الخيل الرئيسة فإن أول ما يتجه إليه الإنسان عند فحص الخيل هو اختبار قوائمه ، ويجب رفع قوائم الحصان عند فحصه ، ولرفع القائمة يمسك الفاحصُ بزمام الحصان ، ويقف بجوار كتفه متجهًا للمؤخرة ، ثم يربت له على جانب رقبته وكتفه إلى أن يصلَ إلى المرفق فالساعد ، فيصل إلى المسافة بين الركبة والرمانة [1] ، وهنا يشعر الحصان باليد التي تمسك أوتار قائمته فيرفعها طائعًا مختارًا ، وأهم الأمور الضرورية لفحص الخيل هي قياس نبضه حتى يعرف حالته المرضية ، وقياس النبض في الخيل يكون من الشريان تحت الفكي ، والشريان الصدغي ، والشريان الكعبري ، وقياس نبضه يكون لمعرفة درجة احتمال قلبه وطاقته ، ويتم بعد أن يقوم الحصان بشوط من الجري ، لذلك أمَرَ سليمان أن تجري الخيل لأقصى ما تستطيع ثم ترد ليكون تفسير الآية ﴿ **حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ** ﴾ أي الخيل حتى بعدت فلم يستطع رؤيتها فلما عادت (**فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ**) وهكذا كان يقوم بفحص الخيل ويتبين أثر العدو عليها " [2].

في الحديث الشريف :

ورد فضل الخيل في أحاديث كثيرة ، فقد روي ابن عباس رضي الله عنهما أو عليٌّ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : **" لما خلق الله الخيل قال فيه : خلقتك عربيًا ، وفضَّلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك ، والغنائم تُقادُ على ظهرك ، وبصهيلك أرهب المشركين وأعزُّ المؤمنين ، ثم وسمه بغرة ٍ وتحجيل "** [3].

[1] ـ رُمانة الدابَّة : موضع العلف من جوفها .
[2] ـ الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية – د.أحمد مصطفى متولي .
[3] ـ رواه ابن أبي حاتم ، وذكره الأبشيهي في المستطرف .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" ليس من فرسٍ عربيٍّ إلا يُؤذن له مع كل فجرٍ يدعو به دعوتين : اللهم إنَّكَ خوَّلتني من خوَّلتني من بني آدم فاجعلني من أحب ماله وأهله إليه "** [1]، وقال ﷺ : **" ما مِنْ تسبيحة وتحميدة وتكبيرة يكبِّرها صاحبها فتسمعه إلا وتجيبه بمثلها "** [2]، وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : رأيتُ رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرسه بأصبعيه ويقول : **" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "** [3] – وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم – قال ﷺ : **" الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير "** . والمراد بالناصية هي الشعر المسترسل على الجبهة ، وقال الخطابي وغيره : وكُنِّى بالناصية عن جميع ذات الفرس كما يُقالُ : فلان مباركُ الغرَّةِ أي الذات .[4] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال ﷺ : **" البركة في نواصي الخيل "** .[5] ونهى النبيَّ ﷺ عن جَزِّ أذنابها وأعرافها ونواصيها ، ونهى عن خِصائها .[6] وذكر أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس بن مالك عن أبيه أنَّه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴿١١٩﴾** ﴾ (النساء : ١١٤) قال : هو الخِصاء .[7] وقال فيها سفيان الثوري وابن عمر رضي الله عنهما : هو حذف أذناب الخيل وأعرافها وخصائها ، وعن عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما أن ابن عمر رضي الله عنهما كان

---

[1] - رواه أحمد في مسنده ، والنسائي في سننه .
[2] -حياة الحيوان الكبرى للدميري نقلاً عن تاريخ نيسابور للحاكم أبي عبيد الله في ترجمة أبي جعفر الحسن بن محمد بن جعفر الزاهد العابد أنَّه رواه بإسناده عن عليِّ بن أبي طالب عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم .
[3] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وابن ماجة وأبوداود والدارمي في سننهم ، ومالك في الموطأ ، وهو عند أحمد في المسند والنسائي في السنن بلفظ : " يفتل " بدلاً من " يلوي " .
[4] - صحيح مسلم بشرح النووي .
[5] - رواه البخاري في صحيحه .
[6] - رواه أحمد في مسنده .
[7] - رواه الطبري .

يكره الخِصاء ويقول : لا تقطعوا نامية خلق الله تعالى .[1] وكان البعض لا يرى بأسًا فيه كابن سيرين ، والحسن ، وابن طاوُس .[2]

وقد شجَّعَ الإسلام على اقتناء الخيل لاستخدامها في التريض والحرب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده فإنَّ شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة "** .[3]

وعنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : **" الخيل لثلاثة : لرجلٍ أجرٌ ، ولرجلٍ سترٌ ، وعلى رجلٍ وزر ، فأما الذي له أجرٌ فرجلٌ ربطها في سبيل الله فأطال في مرج[4] أو روضة فما أصابت في طِيَلِها[5] ذلك من المروج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنَّها قطعت طِيَلها فاستَنَّتْ[6] شرفًا أو شرفين[7] كانت أرواثها وآثارها حسنات له ولو أنَّها مرَّتْ بنهر فشربت منه ولم يردْ أنْ يسقيها كان ذلك حسنات له ، ورجل ربطها فخرًا ورئاءً ونوءً[8] لأهل الإسلام فهي وزرٌ على ذلك "**.[9] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" الخيلُ ثلاثة : فرسٌ للرحمن ، وفرسٌ للإنسان ، وفرسٌ للشيطان ، فأما فرس الرحمن فما اتُخذَ في سبيل الله تعالى وقُوتِلَ عليه أعداؤه ، وفرس الإنسان ما استطرق عليه ، وفرس الشيطان ما روهن عليه "** .[10] وقال ﷺ : **الخيلُ ثلاثة : فرسٌ للرحمن ، وفرسٌ للشيطان ، وفرسٌ للإنسان ، فأما فرس الرحمن**

---

[1] - رواه أحمد في مسنده .
[2] - الحيوان للجاحظ .
[3] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والترمذي والنسائي وابن ماجة في سننهم ، وأحمد في مسنده .
[4] - المرج : الأرض الخضراء المعشبة .
[5] -الطِّيَلُ : الحبل يُطوَّل للدابة فترعى مقيدة به .
[6] - استن الفرس ونحوه : جرى في نشاط في جهة واحدة .
[7] - الجري السريع شوطـًا أو شوطين .
[8] - النوء : المعاداة .
[9] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والترمذي وابن ماجة في سننيهما ، وأحمد في مسنده ، ومالك في الموطأ .
[10] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وابن ماجة في سننه ، وأحمد في مسنده ، ومالك في الموطأ .

فالذي يُربط في سبيل الله فعلفه وروثه وبوله – وذكر ما شاء – في ميزانه يوم القيامة ، وأما فرس الشيطان فالذي يُقامر أو يُراهن عليها ، وأما فرس الإنسان فالفرس يربطها الإنسان يلتمس بطنها فهي له ستر من الفقر " [١]. والمقصود بالاستخدام المخالف للإسلام ما يقتنيه الإنسان منها ويقوم بتربيته وترويضه وتدريبه للاستخدامه في السباقات لغرض المراهنات والميسر ، وما يترتب عليه ذلك من إهدار المال وإثارة الضغائن وهو الدور الذي يلعبه الشيطان أبدًا وهو ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (المائدة : ٩١) لذا نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وأجاز سباق الخيل في غير رهان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" لا سبق إلا في خُفٍ ، أو نصلٍ ، أو حافرٍ "** [٢]. والخف إشارة إلى سباقات الإبل ، والنصل إلى مسابقات الرماية ، والحافر إشارة إلى سباقات الخيل ، وهذه الأمور الثلاثة يجب لإباحتها خروجها عن الميسر والمراهنات . وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ راهنَ [٣] على فرس يُقال لها سَبحة ، فجاءتْ فهشَّ لذلك وأعجبه [٤]. وورد في الحديث أن الملائكة لا تحضر شيئًا من اللهو إلا مسابقة الخيل ، وملاعبة الرجل أهله أي زوجته [٥].

وقد حفلت السيرة النبوية المُشَرَّفة بقصص كثيرةعن هذا الحيوان ، منها ما رُويَ في حادثة هجرة النبيِّ ﷺ وما جرى لسراقة بن مالك – رضي الله عنه – وفرسه ، فقد

---

[١] - رواه أحمد في مسنده .
[٢] - فقه السنة لسيد سابق .
[٣] - أي سابق بغير رهان .
[٤] - رواه أحمد في مسنده برجال ثقات ، والطبراني في معجمه .
[٥] - رواه النسائي في سننه .

روى ابن هشام في سيرته قال : انطلق سراقة بن مالك – رضي الله عنه – بفرسه ينهب الأرض في أثر الرسول ﷺ ، وكان له فرسًا قويًّا فلحق ركب الرسول ﷺ ، وصاح : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال رسول الله ﷺ : **" يمنعني الجبار الواحد القهار .. "** ، ونزل جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ! إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : جُعلتْ الأرضُ مطيعة لك فأْمُرْها بما شئتَ ، فقال رسول الله ﷺ : **" يا أرض خذيه ! "** ، فأخذت الأرضُ أرجلَ الفرس فساختْ [1] يدها فخرَّ سراقة عن فرسه ، وقال : يا محمد ! قد علمتَ أن هذا عملك فادعُ الله أن ينجيني مما أنا فيه ، ولك عليَّ أنْ أردَّ عنكَ الطلب . فقال ﷺ : **" يا أرض أطلقيه ! "** ، فأطلقتْ الفرس ، ولكن سراقة تبعهم مرة أخرى فساخت قوائم فرسه ، فقال : يا محمد الأمان وعزةِالعُزَّى لو أنجيتني لأكون لك لا عليك ، فرفعَ عليه الصلاة والسلام يده الشريفة ، وقال : **" اللهم إن كان صادقًا فيما يكون فأطلِقْ جواده ! "** ، فأطلق الله قوائم فرسه ، وقال : يا محمد إنِّي أعلمُ أنَّه سيظهر أمرك وتملك رقاب الناس ، فعاهدني أنِّي إذا أتيتك تكرمني فأمر عليه الصلاة والسلام عامر بن فهيرة – رضي الله عنه – فكتب لسراقة أن يمنحه سواري كسرى ، وألقى إليه الرقعة وظلتْ معه حتى فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممالك كسرى فبعث إليه بسواري كسرى ووفَّى بوعد رسول صلى الله عليه وسلم [2].

وللحصان قصة أخرى مع الحديث الشريف وهي قصة فرس تأثر بقراءة القرآن فكان يجول إذا دنت منه الملائكة التي تتنزل للقراءة ، ويقف عندما تتوقف تلاوة

[1] - ساخت : غاصت .

[2] - السيرة النبوية لابن هشام .

القرآن ، وهكذا يتفاعل الكون كله مع كلام الله تعالى وهو ما أخبر به الله تعالى في كتابه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحشر : ٢١) ، والحديث رواه الصحابيُّ الجليل أسيد بن حضير رضي الله عنه ، قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسُه مربوط عنده ، إذ جالتْ[1] الفرسُ ، فسكتَ فسكنتْ ، فقرأ فجالتْ الفرسُ ، فسكتَ وسكنتْ الفرسُ ، فانصرفَ ، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أنَّ تصيبه[2] ، فلما اجترَّهُ[3] رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدَّثَ النبيَّ ﷺ ، فقال له النبيُّ ﷺ : **" اقرأ يا ابن حضير ! اقرأ يا ابن حضير ! "** . قال : فأشفقتُ يا رسول الله أنْ تطأ يحيى ، وكان قريبًا ، فرفعتُ رأسي فانصرفتُ إليه ، فرفعتُ رأسي إلى السماء فإذا مثلُ الظُّلَّة فيها أمثال المصابيح ، فخرجتُ حتى لا أراها . قال ﷺ : **" وتدري ما ذاك ؟ "** . قال : لا . قال ﷺ : **" تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأتَ لأصبحتَ ينظر الناسُ إليها لا تتوارى[4] منهم "** .[5]

وهناك قصة أخرى توضِّحُ جانبًا من معجزات النبيِّ ﷺ وهي فرس أصابتها بركة النبيِّ ﷺ ، فعن جُعيل الأشجعي رضي الله عنه ، قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة فكنتُ في آخر الناس ، فلحقني رسول الله ﷺ فرفع مِخْفَقَة[6] فضربها بها ، قال : فلقد رأيتني ما أمسكُ رأسها أن أتقدَّمَ الناسَ ، ولقد بعتُ

[1] - جالَ : تحركَ .
[2] - أي تطؤه .
[3] -جرَّهُ من مكانه خوفًا عليه من الفرس أن يطأه .
[4] - توارى : استتر .
[5] - رواه البخاري في صحيحه .
[6] - المخفقة : الدِّرَّة وهي العصا الصغيرة .

من بطنها باثنى عشر ألفًا .[1]

حكمها :

ورد في الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، قالتْ : نحرنا على عهد النبيِّ ﷺ فرسًا فأكلناه .[2] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : نهانا النبيُّ ﷺ يوم خيبر عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل – وفي رواية – ورخَّصَ في لحوم الخيل .[3]

لذا يحلله جمهور العلماء فقال الشافعي : ما لزم اسم الخيل من العراب والبراذين فأكلها حلال وهو قول أحمد بن حنبل ، والقاضي شريح ، والحسن ، وابن الزبير، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، وعبد الله بن المبارك ، وابن سيرين – رحمهم الله – وغيرهم . وذهب أبوحنيفة ، ومالك ، والأوزاعي – رحمها الله – إلى أنَّها مكروهة ، وكراهتها عند مالك كراهة تنزيه لا كراهة تحريم[4] ، ويقول الإمام النووي – رحمه الله – : اقترانه بالبغال والحمير في قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل : ٨) لا يدلُّ على أن حكم لحمه كحكم لحمي البغال والحمير ، فالله تعالى يُقْرِنُ في الذكر بين المتماثلات تارة وبين المختلفات بل والمتناقضات تارة أخرى ، وليس في قوله : ﴿لِتَرۡكَبُوهَا ﴾ ما يمنع أكله كما ليس فيه ما يمنع من غير الركوب من وجه الانتفاع وإنَّما نصَّ على أجلِّ منافعها وهو الركوب .[5]

---

[1] - رواه النسائي في سننه ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ، والطبراني في معجمه .
[2] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .
[3] - رواه البخاري في صحيحه .
[4] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[5] - عمدة القاري للإمام العيني .

زكاة الخيل :

قال رسول الله ﷺ : " **ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة** " [1]. وعن عليٍّ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : " **قد عفوتُ لكم عن الخيل والرقيق لا صدقة فيهما** " [2]. وقد أوجبها أبو حنيفة – رحمه الله – في إناثها ، ولصاحبها في ذلك الخيار ، فإن كانت منفردة أعطى عن كل فرس دينارًا ، وإنْ كانت مجتمعة مع الذكور أعطى عن كل مائتي درهم خمسة دراهم ، وإنْ كانت ذكورًا منفردة فلا شيء فيها [3].

أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت أفراسُ الرسول ﷺ تسعة عشر فرسًا[4] منها :

– **السَّكب** : أولُ فرسٍ اشتراه رسول الله ﷺ وذلك من رجلٍ من بني فزارة ، وكان اسمه الضَّرس فسمَّاه الرسول ﷺ السَّكب ، من سكب الماء كأنَّه سيل ، وكان فرسًا أغرَ محجَّل طلقَ اليمين كميتًا ، والغرَّةُ : بياض في جبهة الفرس ، والتحجيل : بياض في قوائم الفرس أو بعضها لا يتجاوز الركبتين والعرقوبين ، وفرسٌ طلق اليمين : ليس في يمينه تحجيل ، والكميتُ : هو الفرس ليس بالأشقر ولا بالأدهم ولكن يخالط حمرته سواد ، فهو شديد الحمرة ، ولون عرفه وغرته وذنبه أسود ، وقيل كان أدهمًا ، والأدهم الأسود الخالص . وقد شهد هذا الفرس يوم أحد .

– **سَبحة** : كانت فرسًا أنثى ، وكانت شقراء ، والأشقر الفرس شديد الحمرة كما أن لون عرفه وغرته وذنبه أحمر . اشتراها رسول الله ﷺ بعشر إبل ، فعن أنس رضي الله

---

[1] - متفق عليه .
[2] - رواه أحمد في مسنده .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[4] نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .

عنه أن رسول الله ﷺ راهن على فرس يُقال لها سبحة فجاءت سابقة فهشَّ لذلك وأعجبه [1].

- **المرتجز** : قيل سُمِّيَ كذلك لحسن صهيله [2] ، وقيل كان أبيضًا .

- **اللَّزَّاز** : سُمِّيَ بذلك لأنَّه لا يسابق شيئًا إلا لزَّهُ أي أثبته ، وقيل لازازته أي لاصاقته ، فهو يلتزق بالمطلوب من سرعته . أهداه المقوقس للنبيِّ ﷺ .

- **الظَّرب** : وهو الكريم من الخيل .

- **اللَّحيف** : كان يلحف الأرض بذنبه أي يغطيه لطول ذنبه .

- **الورد** : وهو بين الكميت والأشقر ، وقد وهبه رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمل عليه في سبيل الله [3].

وكان من أفراسه كذلك : **البحر** ، و**ذو اللِّمة** ، و**ذو العُقال** ، و**النحيف** [4].

وكان رسول الله ﷺ يستحب بعض ألوان الخيل فقال ﷺ : **" خيرُ الخيل الأدهمُ ، الأفرحُ ، الأثرمُ ، محجَّلُ الثلاث ، مطلقُ اليمين ، فإن لم يكن أدهم فكميت[5] على هذه الشية[6] "** [7]. والأدهم : الأسود خالص السواد ، والأفرح : ما كان في وجهه بياض قليل ، والأثرم : أبيض الأنف والشفة العليا ، ومحجل الثلاث مطلق اليمين : ما كان في قوئمه تحجيل أي بياض عدا قائمته اليمنى الأمامية .

وقال رسول الله ﷺ : **" عليكم بكلِّ كميت أغر محجَّل ، أو أشقر أغر محجَّل ، أو**

---

[1] - رواه الطبراني ، وأحمد في مسنده ، ورجاله ثقات .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري – نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري – سبل الهدي والرشاد (جـ ٧ ، ٩) للصالحي .
[4] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[5] - الكميت : الأحمر يميل للسواد .
[6] - الشية : العلامة .
[7] - رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي في سننهم ، وأحمد في مسنده .

أدهم أغر محجَّل " .[1] وقال ﷺ : **" يُمنُ الخيلِ في شقرها "** .[2] ولَمَّا سُئلَ محمد بن مهاجرٍ لمَ فضَّلَ رسول الله ﷺ الأشقر ؟ قال : لأنَّ النبيَّ ﷺ بعث سرية فكان أولَ من جاء بالفتح صاحب أشقر .[3]

وكان رسول الله ﷺ يكره الشَّكَّال من الخيل .[4] و الشَّكَّال هو الفرس في رجله اليمنى ويده اليسرى بياض ، أو في يده اليمنى ورجله اليسرى بياض .[5]

وقد نهى النبيُّ ﷺ عن التشاؤم إلا في ثلاث ، قال ﷺ : **" الطيرة في ثلاثة : في المسكن ، والفرس ، والمرأة "** .[6] قال العلماء : شؤم الدار جار السوء ، وشؤم الفرس إذا كان لا يُغزَى عليها ، وشؤم المرأة إذا كانت غير ولود .[7] وقال الإمام مالك – رحمه الله – عن شؤم الدار : كم دارٍ سكنها ناسٌ فهلكوا ، ثم سكنها آخرون فهلكوا .[8] وقال الإمام النووي – رحمه الله - : المقصود بقوله ﷺ الخيل : فهي الخيل غير المعدَّة للغزو ، ولا يُمنع أن يجتمع الشؤم هنا مع الخير في قوله لَمَّا سُئل عن خيرها فقال ﷺ : **" للأجر والمغنم "** .[9] [10]

في المثل العربي :

وُصفَ الفرس بحدة السمع فقالوا : **" أسمع من فرس "** ، وقال العربُ :

---

[1] - رواه أبوداود في سننه .
[2] - رواه أبوداود في سننه .
[3] - رواه أبوداود في سننه .
[4] - رواه مسلم في صحيحه ، وأبوداود والترمذي وابن ماجة في سننهم ، وأحمد في مسنده .
[5] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[6] - حديث ضعيف رواه أحمد في مسنده ، وصاحب الدر المنثور .
[7] - سبل الهدي والرشاد للصالحي .
[8] - المصدر السابق .
[9] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والترمذي في سننه .
[10] - صحيح مسلم بشرح النووي .

" **الخيلُ أعلمُ بفرسانها** " [1]، ومن كلمات النبيِّ ﷺ في الخيل التي صارتْ مثلاً قوله ﷺ : " **يا خيلَ اللهِ اركبي !** " قالها يوم حنين .[2] وتُقال دعوة للجهاد لنشب القتال .

في الرؤيا :

يُؤول الذكرُ من الخيل سلطانًا وعزًّا ، فمن ركبه وكان ذلولاً له أصاب عزًّا وسلطانًا وشرفًا وثروة ، ومن ربط فرسًا لنفسه أو ملكه أصاب نحو ذلك . والحصان الأبلق[3] شهرة ، والأدهم مالٌ وشرف ، والأشقرُ يدلُّ على الحزن ، وقيل يدلُّ على النصر . ومن رأى له جناحين يطير بهما بين السماء والأرض ينال شرفًا في الدنيا والدين مع سفر . والأنثى من الخيل هي الزوجة ، والبلقاء امرأة مشهورة بالجمال والمال ، والشقراء ذات فرح ونشاط ، والشهباء امرأة متدينة ، فمن رأى أنَّه نزل عنها ولا يضمر العودة إليها فارق زوجته .[4]

١٨ـ حِمَارٌ

من الثدييات رتبة فردية الحافر وفصيلة الخيول . وينتشر في المناطق الحارة والمعتدلة من العالم وذلك في جنوب كل من آسيا ، وأوروبا ، وشمال إفريقيا ، وقد أدخله الأوروبيون إلى الأمريكتين في القرن التاسع عشر . ويرجع تاريخ استئناسه إلى حوالي أربعة آلاف عام مضت ، وقيل عرفه القدماء المصريون منذ عام ٣٠٠٠ ق.م .

والحمار حيوان ذكي قوي التحمل إذ يفوق الإنسان في تحمل الجوع والعطش بمقدار

---

[1] - جمهرة الأمثال .
[2] - رواه مسلم في صحيحه .
[3] - الأبلق : ما يختلط بياضه بسواده .
[4] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦) .

ضعفين ونصف ، وهو ثاني الثدييات بعد الجمل تحملاً للجوع والعطش ، إذ يستطيع تحمل العطش لمدة أربعة أيام متوالية في جو الصحراء القائظ . والحمار لا يتأثر بالدوار لذا يُستخدم الحمار في النقل والركوب والسير في الطرق الجبلية العالية غير المستوية .

تحمل الأنثى لمدة ١٥٠ – ١٨٠ يومًا لتضع مولودًا واحدًا فقط . ويعيش الحمار نحو ٢٥ عامًا . ويضم الحمار سلالات عدَّة منها : القبرصي ، والبلدي ، والسوداني ، أما أصغرها حجمًا فهو حمار سردينيا إذ لا يزيد ارتفاعه عند الكتفين عن ٨٠ سم .

في اللغة :

الحِمَارُ : اسم للذكر ، أما الأنثى فتُسمَّى : **أتان** ، والجمع : **أُتُن** ، وولدها حين يُفطم هو : **الجَحْشُ** ، والجمع : **جِحْشَان** ، فإذا استكمل عامًا سُمِّيَ : **تَوْلَب** . ويُعرف صوته بالنِّهاق .[١]

ويُطلق :**العَيْرُ** (بفتح العين) على الحمار الأهلي والوحشي والجمع : **أَعْيار** ، أما **العِيرُ** (بكسر العين) فهي الإبل .[٢]

في الأدب :

يُوصف الحمار بحدة السمع ، وهو لا يشرب سوى الماء النظيف ، والبردُ يضره ويؤذيه لذا لا يعيش في المناطق الباردة .[٣]

قيل للفضل الرقاش لماذا تؤثر الحمير على غيرها من الدواب ، قال : لأنَّها أرفق وأوفق ، لأنها لا تستبدل بالمكان على طول الزمان ، وهي أقل داءً ، وأيسر دواءً ،

[١] - الإفصاح في فقه اللغة .
[٢] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[٣] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .

وأخفض مهوًى ، وأسلم صرعًا ، و أقل جماحًا ، وأشهر فرُهًا [1] وأقل بطرًا [2] ، يزهي راكبه وقد تواضع بركوبه .[3] وقد اختلف معه جرير بن عبد الله في الرأي فقال : لا تركب حمارًا فإنه إن كان حديدًا أتعب يديك ، وإن كان بليدًا أتعب رجليك .[4]

وقال أبوالعيناء مولى أبي جعفر المنصور لأحد سماسرة الحمير : اشترِلي حمارًا لا هو بالطويل اللاحق ، ولا بالقصير اللاصق ، إن خلا الطريق تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصادم بي السواري ، ولا يدخل تحت البواري[5] ، إنْ كثَّرتَ علفه شكر ، وإنْ قللته صبر ، وإنْ ركبته هام ، وإنْ ركبه غيري قام . فقال السمسار له : إنْ مسخ الله بعض قضاتنا حمارًا أصبتَ حاجتك ، وإلا فليست موجودة .[6]

ومن النوادر الطريفة ما قاله بشار في وصف حمار له قد مات ، فقال لاهيًا أنَّي رأيته في المنام فقلتُ له : ويلك ! ما لك مُتَ ؟ قال : إنَّك ركبتني يوم كذا وكذا ، فمررنا على باب الأصبهاني ، فرأيتُ أتانًا عند بابه فعشقتها فمتُّ ، وأنشد :

سيدي خُذ لي أمانًا	من أتان الأصبهاني
إنَّ بالباب أتانًا	فضلت كلَّ أتان
تيمتني يوم رُحنا	بثناياها الحِسان
وبغُنْجٍ [7] ودلال	سَلَّ جسمي وبراني
ولها خدٌّ أسيلٌ[8]	مثلَ خدِّ الشيقران

[1] - الفراهة : الحسن والجمال ، من الفعل فرُه أي حسن ونشط .
[2] - البطر : جحد النعمة .
[3] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[4] - المصدر السابق .
[5] - البواري : مظلات توضع على واجهات الحوانيت تصنع من الحصر .
[6] - نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[7] - الغنجُ : الدلال .
[8] - أسيل : أملس مستوٍ .

فبها مِتُّ ولـو عشـــ ـتُ إذًا طالَ هـواني

فقال له رجلٌ من القوم : يا أبا معاذ ! ما الشيقران ؟ قال : هو شيء يتحدث به الحمير ، فإذا لقيتَ حمارًا فاسأله ![1]

وكثيرًا ما وُسِمَ الحمار بالغباء فظلَّتْ صفة ملازمة له عبر العصور وحول هذا المعنى نظم أمير الشعراء أحمد شوقي ، هذه الأبيات :

الليـــثُ ملكُ القفـــــار	ومـا تضــــمُ الصحـــاري
سعــتْ إليـــه الـرعـــايـــا	يـومـــًا بكل انكســــــار
قـالـتْ : تعيــشُ وتبقـــى	يـا دامــي الأظفــــار [2]
مـاتَ الــوزيــرُ فمـــن ذا	يســوسُ أمــرَ الضواري ؟
قَـــالَ : الحِمـــار وزيـــري	قضى بهـــذا اختيـــاري
فاستضحكتْ ثـم قـالـتْ :	" مـاذا رأى في الحمـار ؟ "
حتــى إذا الشهـــرُ ولّـــَى	كليلــــةً أو نهـــــــار
لــم يشعــرُ الليــــث إلا	وملكـــه في دمــــــار
القـــردُ عنـــد اليميـن	والكلــبُ عنـد اليســـار
والقِـــطُّ بين يـــديـــه	يلهُــــو بعظمــةِ فـــار
فقـال : مَنْ في جـدودي	مثلي عـــديـم الـوقـــار !
أينَ اقتــداري وبطشـــي	وهيبتـــي واعتبـــاري !
فجـــاءه القـــردُ ســـرًّا	وقـــال بعـــد اعتـــذار :

[1] ـ العقد الفريد (جـ ٨) لابن عبد ربه الأندلسي .
[2] ـ كناية عن البطش والافتراس .

يا عــالي الجــــاه فينـــا	كـُـنْ عــالـيَ الأنظـــــار
رأيُ الــرعيـــة فيكـــم	منْ رأيكـــم في الحمـــار

في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ۝٥** ﴾ (الجمعة : ٥)حيث وصف الله تعالى اليهود بالحُمُر لأنهم لم يعملوا بالتوراه ولم يؤدوها على حقها فهم كالحُمُر التي يحمل الواحد منها الكتب على ظهره لا يعي ما فيها ، وقد ذكر رسول الله ﷺ مثل ذلك لمن حضر خطبة الجمعة ولغا [١] فيها فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **مَنْ تكلَّم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا والذي يقول له أنصتْ ليس له جمعة** " [٢].

وأشهر حمار عرفته البشرية هو حمار العُزَيْر الذي وردتْ قصته في كتاب الله تعالى : ﴿ **وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ** ﴾ (البقرة : ٢٥٩) وقد اختلف في شخص صاحب الحمار ، وأكثر المفسرين أنَّه العُـزَيْرُ عليه السلام أحد أنبياء بني إسرائيل والذي عُرفَ عند اليهود باسم "عزرا" النبيِّ ، والقصة تبدأ بمروره على بيت المقدس بعد أن خرَّبها الملك الآشوري " بختنصر " ، فوقف متفكرًا فيما آل إليه أمر المدينة بعد العمارة العظيمة التي كانت عليها ، وتعجَّبَ هل يمكن أنْ تعود لمثل ما كانت عليه ، فأماته الله مائة عام ، وكانت المدينة قد عمرت بعد سبعين سنة من موته وتكامل سكانها ، فلما أحياه الله بعد موته كان أول ما أحياه الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنع الله وكيفما يحيى باقي بدنه ، فلما بعثه الله خاطبه مَلَكٌ مِن قِبَلِ ربِّه فسأله :

---

[١] ـ لغا : تكلم باللغو ، واللغو هو ما لا يفيد من الكلام .
[٢] ـ رواه أحمد في مسنده .

﴿ كَمۡ لَبِثۡتَۖ ﴾ ؟ قال : ﴿ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ ﴾ وكان قد مات أول النهار وبعثه الله يومًا آخر فلما رأى الشمس باقية ظنَّ أنَّها شمس ذلك اليوم الذي مات فيه ، فقال له المَلَكُ : ﴿ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ ﴾ وكان معه آنذاك عنبٌ وتينٌ وعصائرُ فوجدها كما كانت لم يتغير لها طعم ، وكان معه حماره الذي استحال عظامًا بالية ، قال السديُّ وغيره : تفرَّقتْ عظام حماره حوله يمينًا وشمالاً ، فأرسل الله ريحًا جمعتها من كل موضع فأراه الله كيف يعيد خلقه ويركب عظامه لا لحم فيها ثم كساها الله لحمًا وعصبًا وعِرقًا وجلدًا ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ﴾ وبعث الله مَلكًا فنفخ في منخري الحمار فنهق وذلك بمرأى من العُزَيْر ، فقال العُزَيْرُ : ﴿ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (البقرة : ٢٥٩) [1]

ويقول الشيخ الشعراوي في تفسيره : إنَّ أعجب ما في الأمر كيف يطوي الله الزمن في مسألة الطعام ويبسطه في مسألة الحمار إنَّه سبحانه وتعالى يريد أن يبيِّن لنا أنَّه هو القابض الباسط فهو يقبض الزمن في حقِّ شيءٍ ويبسطه في شيءٍ آخر رغم أن هاذين الشيئين متعاصران معًا ، وهذا لا يتم إلا بقدرة مطلقة لا تملكها القوانين الكونية بل هي التي تمتلك تلك القوانين وتتصرف فيها أنَّى شاءتْ .[2] وكان بعد أنْ أحياه الله قد التقى بابنه وقد تجاوز ابنه المائة عام بينما كان هو في الخمسين من عمره فاحتجَّ على صدقه في دعواه أنَّه كان حافظًا للتوراة – ولم يحفظ التوراة غير أربعة : موسى ، ويوشع بن نون [3] ، وعيسى ، وعُزَيْر عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام – فقارنوا ما

---

[1] - تفسير ابن كثير (١ / ٣١٤) .

[2] - تفسير الشعراوي .

[3] - يوشع بن نون : نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وهو فتى موسى عليه السلام ، وردت الإشارة إليه في كتاب الله الكريم في قوله تعالى : [**وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ** ..] (الكهف : ٦٠) .

كان يحفظه بنسخة عُثِرَ عليها وكان قد دفنها رجلٌ من بني إسرائيل لمَّا دخل الملك الأشوري "بختنصر" بيت المقدس ودمَّرها وأحرق نسخَ التوراة ، فأيقنوا بصدقه .[1]

وكما أحيا اللهُ الحمارَ للعزير وجعلها معجزة له ، جعل مثلها كرامة لواحد من أمة محمد ﷺ ، وكما قال أهل العلم فإنَّ الكرامة تحسب للنبيِّ صاحب الشريعة الذي اتبعه صاحب الكرامة ؛ لأنَّه لم ينلها إلا لاتباعه له ، وقال الإمام الشافعي – رحمه الله – : ما أعطى الله نبيًا قط شيئًا إلا وأعطى محمدًا ﷺ أكثر .[2] فقد روي البيهقي بسنده إلى أبي سبرة النخعي رضي الله عنه قال : أقبل رجلٌ من اليمن ، فلما كان ببعض الطريق نفق[3] حماره فقام وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم قال : اللهم إنِّي جئتُ مجاهدًا في سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهدُ أنَّكَ تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لأحدٍ عليَّ اليوم منة ، أطلبُ إليك أن تبعثَ حماري ، فقام الحمار ينفض أذنيه .[4]

في الحديث الشريف :

أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نستعيذ بالله تعالى عند سماع صوت الحمار ؛ لأنَّه يكون قد رأى شيطانًا فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير في الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ، فإنَّها ترى ما لا ترون "** .[5] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنَّها رأتْ شيطانًا "** .[6]

---

[1] - تفسير الشعراوي .
[2] - ذكره البيهقي في الدلائل ، والصالحي في سبل الهدي والرشاد .
[3] - نفق الحيوان : أي مات .
[4] - رواه البيهقي بإسناد صحيح ، وابن أبي الدنيا ، وابن كثير في البداية والنهاية .
[5] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والترمذي والنسائي في سننيهما ، والحاكم في المستدرك ، وأحمد في مسنده .
[6] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

وقد استنكر الله تعالى صوته وعدَّه من أقبح الأصوات قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان : ١٩) قال المفسرون : هو أنكر الأصوات لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (هود : ١٠٦) وقال الثوري – رحمه الله – : صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان [١].

حكمها :

نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحم الحمر الأهلية ، فعن أنس رضي الله عنه قال : لَمَّا فتح النبيُّ عليه الصلاة والسلام خيبر أصبنا من القرية حُمُرًا ، فطبخنا منها ، فنادى النبيُّ ﷺ : **" ألا إنَّ الله ورسوله ينهاكم عنها ، فإنَّها رجسٌ من عمل الشيطان "** ، فأُكفِئتُ القدور وإنَّها لتفور بما فيها [٢].

وعن عمر بن شعيب عن جده رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحُمُرِ الأهلية [٣] وقال ﷺ : **" ألا لا يحلُّ لكم الحمار الأهلي "** [٤].

أما ألبانها فهي مباحة لما رواه البخاري في صحيحه : قيل : الأتن لم يبلغنا عن ألبانها أمرٌ أو نهي . ومن المعروف أنَّ ألبان الأتن لها خواص علاجية نافعة إذ تفيد في حالة ضعف الرئتين والمعدة ، وهو يقارب في تكوينه لبن المرأة .

وقد ورد أنَّه لا زكاة فيها هي والبغال والخيل [٥].

---

[١] - تفسير ابن كثير .
[٢] - رواه الخمسة .
[٣] - رواه أحمد في مسنده ، والنسائي وأبوداود في سننيهما .
[٤] - رواه أبوداود والترمذي في سننيهما بسند حسن .
[٥] - فقه السنة لسيد سابق .

الحُمُرُ التي ملكها رسول الله ﷺ :

كان للرسول ﷺ حمارٌ يسمَّى يعفور أهداه له المقوقس صاحب الإسكندرية ، وقيل كان له حماران : يعفور وعُفير ، وقيل أن عُفير هذا كان هو هدية المقوقس ، ويعفور كان هدية فروة بن عمرو الجُذامي رضي الله عنه[1] ، وربما كان الحمار الذي أهداه له أحد الصحابة فيما رواه بريدة رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ يمشي إذ جاء رجل معه حمار فقال : يا رسول اركب ! فتأخر الرجل ، فقال رسول الله ﷺ : **" لا ، أنت أحق بصدر دابتك مني إلا أن تجعله لي "** ، قال : فإنِّي قد جعلته لك ، قال : فركب .[2] هو يعفور ، أما عُفير فقد روى ابن عساكر في تاريخه أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا فتح خيبر أصابَ حمارًا أسودَ ، فقال له النبيُّ ﷺ : **" فأنتَ يعفور "** ، فكان رسول الله ﷺ يركبه لحاجته ، وكان يبعثه خلف من يشاء من أصحابه فيأتي الباب فيقرعه برأسه فيعلم أن رسول الله ﷺ يطلبه فيذهب إليه . فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ جاء يعفور بئرًا لأبي الهيثم بن التيهان فتردَّى فيه جزعًا على رسول الله ﷺ ، وقيل أنَّه مات لمَّا انصرف الرسول ﷺ لحجة الوداع .[3]

في المثل العربي :

قال العرب : **" العَيْرُ أوقى لدمه "** ، ويُضرب هذا المثل للموصوف بالحذر ، وذلك أنَّه ليس شيئًا من الصيد يحذر حذر العَيْر إذا طُلِبَ ، وقيل أن سبب قوله أنَّ زرقاء

[1] - فروة بن عمرو بن الناقدة ، الجذامي النفاثي ، قائدٌ عربيٌّ من قواد الروم وعمالهم على ما يليهم من العرب ، وكان منزله "مَعَان" وما حولها من أرض الشام ، أسلم بعد ما رأى من شجاعة المسلمين وصدقهم وإقبالهم على الشهادة في سرية مؤتة سنة ثمانٍ من الهجرة . وأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ يخبره بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء . ولمَّا علم الرومُ بإسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم ، ثم خيَّروه بين التنصُّر أو القتل فاختار القتل فصلبوه بفلسطين على ماءٍ يُقال له "عفراء" وضربوا عنقه . (الإصابة (٥ / ٢٩٥) لابن حجر - أسد الغابة (٤ / ٣٤٠) لابن الأثير – الرحيق المختوم (ص ٤٢٩) للمباركفوري) .

[2] - رواه أحمد في مسنده .

٣ - تاريخ دمشق لابن عساكر .

اليمامة – وكانت توصف بحدة البصر – لما حذَّرت قومها من مقدم العدو لم يستمعوا لها فنفر حمارٌ ، فقالت : العَيْرُ أوقى لدمه من راعٍ في غنمه .

وقالوا : " **نجَّى عَيْرًا سِمَنُهُ** " ، حيث زعموا أنَّ حُمُرًا كانت هزلى فهلكتْ في جدبٍ ونجا حمارٌ كان سميناً فضُربَ به المثل في الاستعداد للشيء قبل حدوثه ، ويُضرب كذلك لمن خلَّصه ماله من مكروه ، وقالوا : " **الجحشُ إذا فاتكَ الأعيارُ** " ، ويُضرب في قناعة الرجل ببعض حاجته دون بعض ، وقيل : " **إنْ ذهبَ عَيْرٌ فعَيْرٌ في الرِّباط** " ، والرباط هو شبكة الصياد أو الشرك ، ويُقال في الرضا بالحاضر وترك الغائب . وقالوا : " **أَصَحَّ من عَيْرِ أبي سيَّارة** " ، وأبوسيَّارة رجلٌ من بني عدوان كان له حمارٌ أسود أجاز الناسَ عليه من المزدلفة إلىِ منى أربعين سنة .[1]

في الرؤيا :

يؤول الحمار في الرؤيا كالآتي : إذا كان أبيضَ فهوِ دين صاحبه وبهاؤه ، والسمين مال صاحبه ، والمهزول فقره ، والأسود سيادته وشرفه وهيبته وسلطاناً وملكاً له ، وكان ابن سيرين – رحمه الله – يفضل الحمار على سائر الدَّواب ويختار منها الأسود . وموت الحمار يدل على موت صاحبه ، أو ضياع ملكه . ومن صارع حمارًا مات بعض أقاربه . ومن ملك حمارًا أو ساقه ساقَ الله إليه خيرًا . والأتان امرأة دنيئة ، أو خادم ، أو تجارة . ومن شرب من لبنها مرض مرضاً يسيرًا وبرئ منه ، ومن أكل لحمه وجدَ مالاً وسَعة .[2]

---

١ - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .

٢ - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٥٥ ، ١٥٦) .

١٩- حِمَارُ الوَحْشِ

ينتمي حمار الوحش إلى نفس الرتبة والفصيلة التي يتبعها الحمار والحصان ، وإن كان يتميز عنهما بخطوطه التي تتخلل جسمه وهو يستوطن القارة الإفريقية دون غيرها ، وذلك في سهول السافانا بوسط إفريقيا ، وهو يماثل الحصان في القوة والسرعة .

ويعيش الحمار الوحشي في قطعان كبيرة قرب موارد المياة حيث يختلط بالغزلان والزراف ، وتهاجر في موسم التزاوج بأعداد كبيرة . وتلد الأنثى صغيرًا واحدًا بعد أحد عشر شهرًا . ومن أنواعه الحمار الأخدري ، والملكي ، والجبلي .

وهناك الحمار البري وهو لا خطوط على جسمه ، وهو سريع العدو يركض بسرعة فوق الرمال ، وتماثل سرعته الحصان ، وكان العرب يصيدونها من فوق صهوة جيادهم ، ولا يُصاد منه إلا الصغار نظرًا لسرعة البالغ منها ، وهو يُصاد من أجل لحمه – ولحمه حلال – وهو يمتاز بقدرته البالغة على تحمل العطش ، ويعيش في قطعان كبيرة ، وتلد الأنثى صغيرًا واحدًا غالبًا بعد فترة حمل تسعة أشهر ، ومن أشهر أنواعه : الصومالي ، والنوبي ، والجزائري .

في اللغة :

حِمَارُ الزرد أو **حِمَار الوَحش** : جنس من ذوات الحافر ، فصيلة الخيل معروفة بألوانها المخططة .[١] و **التَّوْلَب** : هو ولد الأتان من حِمار الوحش إذا استكمل الحول ، والجمع **تَوْالِب**.[٢]

[١] - المعجم الوسيط (١ / ١٩٦) – المعجم الوجيز (ص ١٧٠) .
[٢] - المعجم الوسيط (١ / ٨٦) .

في الأدب :

قيل أنَّ الحُمُر الوحشية تزيد أعمارها عن الأهلية مرارًا عدَّة [1] ، والأخدرية أطولها أعمارًا ، وأحسنها شكلاً ، وهي منسوبة إلى أخدر وهو فحل كان لكسرى "أردشير" فتوحش وعُرف المتولد منه بالأخدري [2].

وذكر الجاحظ أنَّ الملك الفارسي "فيروز بن قباذ" كان مغرمًا بالصيد ، وقد ألحّ في طلب حمار أخدري ، وأخذ على نفسه ألا يأخذه إلا أسرًا – أي لا يقتله – ولا يطارده إلا فردًا فحمل فرسه عليه فحطَّه في خباز [3] فجمع جراميزه [4] وهو على فرسه ووثب عليه فإذا هو على ظهره فقمَّصَ [5] به ، فضم الملك فخذيه فحطَّم بعض أضلاع الحمار ، ثم أقبل به إلى الناس وهم وقوف ينظرون إليه .

ويُقال أنَّ ملوك الفرس كانوا إذا صادَ الملك منهم عَيْرًا أخدريًا ووجده فتيًا وسمه باسمه وذكر يوم صيده في وسمه هذا ثمَّ خلَّى سبيله فيعرفَ مقادير عمرها [6].

في القرآن الكريم :

قال تعالى في وصف حال الكافرين : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (المدثر : ٥٠) قال ابن عباس وأبوهريرة رضي الله عنهم في تفسيرها ، أنها حُمُر الوحش التي تفرُّ ممن يريد صيدها [7].

---

[1] - الحيوان للجاحظ .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - الخباز : الأرض الرخوة اللينة ، وحطه فيها أي حصره في هذه الأرض .
[4] - الجراميز : ما انتشر من الثياب .
[5] - قمَّصَ الحمار ونحوه وثب وثبات متتابعة ليسقط راكبه .
[6] - الحيوان للجاحظ .
[7] - تفسير ابن كثير (٤ / ٤٤٧) .

في الحديث الشريف :

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ حاجًا فخرجوا معه ، فصرفَ طائفة منهم – فيهم أبوقتادة – فقال: خذوا ساحل البحر حتى نلتقي ! فأخذوا ساحل البحر ، فلما انصرفوا أحرموا كلهم إلا أبا قتادة لم يُحْرِمْ ، فبينما هم يسيرون ، إذ رأوا حُمُر وحش ، فحمل أبوقتادة على الحُمُر فعقر منها أتانـًا ، فنزلوا فأكلوا من لحمها ، وقالوا : أنأكلُ لحم صيد ، ونحن محرمون ؟ فحملنا ما بقى من لحم الأتان . فلما أتوا رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، إنَّا كنَّا أحرمنا وقد كان أبوقتادة لم يُحْرِمْ فرأينا حُمُرَ وحشٍ ، فحمل عليها [1] أبوقتادة ، فعقرَ منها أتانًا ، فنزلنا فأكلنا من لحمها ، ثم قلنا : أنأكلُ لحم صيدٍ ونحن محرمون ؟ فحملنا ما بقى من لحمها . قال رسول الله ﷺ : **" أمنكم أحدٌ أمَرَه أنْ يحمِلَ عليها ، أو أشار إليها ؟ "** ، قالوا : لا . قال ﷺ : **" فكلوا ما بقى من لحمها ! "** [2].

حكمها :

يحلُّ أكله بالإجماع ، قال الشافعي لو توحَّشَ الحمار الأهلي حَرُمَ أكله ، ولو استأهل [3] الوحشيُّ لم يحرمْ [4].

وحكم قتله في الحرم فدية ، قال ابن عباس رضي الله عنهما تكونُ بدنة [5] تـُذَبَحُ في مكة ، فإذا لم يجد أطعم ثلاثين مسكينًا ، فإن لم يجدْ صامَ ثلاثين يومًا [6].

[1] - حملَ عليه : هجَمَ عليه .
[2] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .
[3] - استأهل : صار أهليًا .
[4] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[5] - البدنة : الناقة
[6] - فقه السنة لسيد سابق .

في المثل العربي :

قال العرب : " **كلُّ الصيدِ في جوف الفـرّا** " ، والفرا هو حمار الوحش ، وأصل المثل أنَّ ثلاثـة نفـر خرجـوا للصـيد فاصـطاد أحـدهم أرنبًـا ، والآخـر ظبيًـا ، والثالـث حمـارَ وحشٍ ، فاستبشر الأول والثاني بـما نـالاه ، فقـال صـائد الحـمار : كـل الصـيد في جـوف الفرا ، فهو أفضل مما صادوه .[1]

في الرؤيا :

اختُلِفَ في تأويله فقيل : رجلٌ مجهولٌ دنيُء الأصل بينه وبين من رآه عداوة ، وقيل : من رآه دلَّ على مال . وركوبه رجوع إلى باطـل وشـق عصـا المسـلمين ومعصـية . ومـن رأى أنَّه تحوَّل إلى حمار وحشٍ فإنَّه يفارق جماعة المسلمين ويعتزلهم .[2]

٢٠– حَـمَـــامٌ

ينتمي الحمام لرتبة وفصيلة الحمام ، ويعيش الحمام في جميـع المنـاطق الآهلـة بالسـكان عـدا المنـاطق شـديدة الـبرودة ، والحـمام طـائر هيـأه الله للطـيران القـوي ، فقـد أمـدَّه بعضلات قوية في منطقة الصدر تبلغ ثلث وزنه ، كما أنَّ رئتيه مـزودة بأكيـاس هوائيـة ، كـما أنَّ الطـائر لـه قـدرات خاصـة في التـنفس إذ تصـل سرعـة تنفسـه إلى ٤٥٠ مـرة في الدقيقة .

ومنه عدَّة أنواع بريَّة ونوعٌ مستأنسٌ ، ويُعرف من النوع المستأنس نحـو ٣٠٠ سـلالة منها : الحمام البلدي ، وهو يعطي أعلى معدل للتكاثر يبلـغ نحـو سـتة أزواج في العـام ،

[1] نهاية الأرب (جـ ١٠) للنويري .
[2] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧) .

والحمام الزاجل ، وهو أسرع الأنواع وأقدرها على الطيران فهو يستطيع أن يقطع نحو ٨٠٠ كيلومترًا في اليوم الواحد ، وهناك الحمام الرومي ، والقطاوي ، والمالطي ..

ويعيش الحمام ٤ – ٦ سنوات ، والأنثى تبيض ٧ – ٨ مرات في العام .

والحمام كان في الحضارات القديمة ولا يزال يُتخذُ رمزًا للسلام ، والحب ، والخصوبة ، وتدلُّ الآثار على أنّ العراق القديم أول من عرف تدجين الحمام وذلك نحو عام ٤٥٠٠ ق.م ، ثم عرفه المصريون القدماء نحو عام ٣٠٠٠ ق.م ، وقد ذكر " داروين " في كتابه " أنواع الحيوانات التي دجَّنها الإنسان " أنَّ الرومان قد أنتجوا سلالات منه وكانوا يغالون في أثمانها . وقد أبدى الخلفاء في بغداد اهتمامًا كبيرًا به حيث استخدم الحمام في البريد والمراسلات . وقد أُدخِلتْ تربية الحمام إلى بريطانيا في أواسط القرن الثالث عشر ، ثم انتقلت إلى فرنسا ، ثم انتقلت إلى أمريكا ، وبدأت تربيته على نطاق تجاري في فيرجينيا عام ١٧١٢م . وتُقام للحمام في أوروبا سباقات دولية يصل طول بعضها إلى نحو ألف كيلومترًا .

في اللغة :

الحَمامُ : طائرٌ معروف ، والمفرد : حَمَامة ، وهو اسم يُطلقُ على الذكر والأنثى ، كما يُقالُ للأنثى من الحمام : **عِكرِمَة** ، وفرخ الحمام : **غـَزْهَل** .[١] أما **الزُغـْلـُول** (بضم الزاي واللام) فهو فرخ الحمام ما دام يُزقُّ [٢] ، ويُقالُ : أزغلَ الطائرُ فرخَهُ إذا زَقـَّهُ .[٣]

في الأدب :

الحمام عند العرب يُطلقُ على كل ما يشبه الحمام كالقطا ، والقمري ، والدواجن ،

[١] ـ الإفصاح في فقه اللغة .
[٢] ـ زَقَّ الطائرُ فرخَه أي أطعمه بمنقاره .
[٣] ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري .

والوراشين [1] . قال الإمام الشافعي : ما عبَّ من الماء عبًّا فهو حمام ، وما شربَ قطرةً قطرة كالدجاج فليس حمام [2].

والحمام منه أنواع عديدة منها : الدُّبسي ، وجاءت تسميته من لونه فالدُّبسة هي الحمرة في سواد ، ومن أصنافه : الحجازي ، والمصري ، والعرقي ، وأحسنُها المصري . ومن أنواعه أيضًا : الورشان ، ومن أصنافه : النَّوى ، وهو أسود اللون ومن أفضل الوراشين صوتًا ، والحجازي ، ويُوصفُ بشدة الحنو على أولاده حتى أنَّه قد يقتل نفسه إذا رآها في يد الصياد ، وهناك الفاختة : وهو نوع عراقي حسن الصوت يألف الناس [3].

ويقول الجاحظ : من أصناف الحمام : الرواعب ، وهو مُولَّد من ورشان ذكر وفاختة أنثى يأخذ من الأب الجسم ومن الأم الصوت . ومن أصنافه المراعيش : وهو يرتفع حتى يغيب عن النظر ، والعدَّاد ، وهو كثير الأفراخ قليل الطيران ، والميساق : وهو قليل الطيران ، والشدَّاد : وهو قوي الطيران ، والقلاَّب : ويسمِّيه العراقيون الملاَّح ، وهو يتقلب أثناء الطيران ، والمنسوب : وهو قوي الطيران يقطع في اليوم الواحد ثلاثة آلاف فرسخًا ، وهو الفريسة المفضلة لجوارح الطير كالشاهين [4].

ويقول الجاحظ : والحمام يحب الناس ويألف بهم ، وأنَّ الذكر بعد إتمام التزاوج يتقدَّم في إعداد العش ويقوم بنقل العيدان الرخوة والقش حتى ينشأ العش على قدر حجم الحمامة ، ويجعلان لها قاعًا رخوًا دافئًا ليكون للبيض مثل رحم الأم ، والحمام يبيض عشرة أشهر في العام ، ويتم خلق الحمام في البيضة في أقل من عشرة أيام وأغلب

---

[1] - الورشان : الحمام المطوق .
[2] - دائرة معارف القرن العشرين (جـ ٣) – محمد فريد وجدي .
[3] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .
[4] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري – الحيوان للجاجظ .

الحمام يضع بيضتين : ذكر وأنثى ، وتبيض البيضة التي تحمل ذكرًا أولاً ثم تضع الأخرى بعد يومًا وليلة ويفقس البيض بعد ١٧ – ٢٠ يومًا ، ويتبادل الذكر مع أنثاه الحضن على البيض ، لكن الأنثى تحضنه أكثر . وعند الفقس يخرج صغير عاري الجلد مسدود الحلق ينفخ الأبوان في حلقه لتتسع الحوصلة بعد التحامها ثم يُقدِّم له الطعام مخلوطًا بلبن الحمام [١]وبعدها يقدِّم الأبوان له الحَبَّ فإذا علما أنَّه يستطيع اللقط تركاه ليعتمد على نفسه ، ويقول الجاحظ : إنَّ فرخ الحمام أسمن شيءٍ ما دام صغيرًا فإذا بلغ لم يقبل الشحم ، وهو إذا كان صغيرًا كان قبيح الشكل فإذا كبر استدار وحَسُنَ شكله ، وفي ذلك قصة إذ يقول أبوالحسن ، كان إياس بن معاوية رضي الله عنه وهو صغير ضعيفًا دميمًا ، وكان له أخٌ أشدُّ حركة منه وأقوى ، فكان معاوية رضي الله عنه يقدِّمه على إياس ، فقال له إياس يومًا : يا أبتِ ! إنَّكَ تقدِّمُ أخي عليَّ وسأضرب لك مثلي ومثله ، هو مثل الفَرُّوج حين تنفلق عنه البيضة ، ويخرج كاسيًا كافيًا نفسه يلتقط ، ويستخفه الناس ، وكلما كبر انتقص حتى إذا تمَّ وصار دجاجة لم يصلحْ إلا للذبح . وأنا مثلُ فرخ الحمام حين تنفلق عنه البيضة عن ساقط لا يقدر على حركة ، فأبواه يغذوانه حتى يقوى ويثبت ريشه ، ثم يحسن بعد ذلك ويطير ويتخذه الناس ويكرِّمونه ، ويرسل من المواضع البعيدة فيجيء ، فُيصانُ لذلكَ ويُكرمُ ، ويُشترى بالأثمان الغالية ، فقال أبوه رضي الله عنه : لقد أحسنتَ المثل ، فقدَّمه على أخيه ، فوجده عنده أكثر مما كان يظن فيه [٢].

وقال صاحبُ الفلاحة : الحمام يحبُّ الكمُّون والموضع الذي يُوضع به ، ويحبُّ

---

[١] - مادة يفرزها الأبوان من حوصلتها يخلط بها الطعام الذي تقدمه للصغار .
[٢] - الحيوان للجاحظ .

العدس ، والطائر إذا نُتِفَ ريشه انحبس بيضه فلا يبيض [1].

ويقول المثنى بن زهير – أكثر الناس في البصرة معرفة بالحمام – لم أرَ شيئًا قط في رجلٍ وامرأةٍ إلا رأيته في الحمام ، فهناك المخلصة لزوجها والخائنة ، وقال : رأبتُ [2] ذكرًا له انثتان باضتا فهو يحضنُ هنا وهناك ، ويطعمُ هنا وهناك [3].

أمّا عن تربيته فقيل أن أول من عرفها هم أهل العراق القديم ، وقيل أن الهند أول من قام أهلها بتربيته على الأسطح ، وقد استخدمه الخلفاء العباسيون في البريد وذلك في عام ١١٥٠م (٥٤٤هـ) .

وذكر المقي الشهابي في كتابه " فضل الله في التعريف " أن أول من عُرِفَ تربيته كان في الموصل ، وأن أول من اعتنى به من الملوك ونقله منها إلى غيرها هو نور الدين زنكي صاحب الشام – رحمه الله – في عام ١١٧٠م (٥٦٥هـ) ، وحافظ الخلفاءُ الفاطميون على الحمام ، وأفردوا له ديوانًا وجرائدَ بأنساب الحمام ، وكتبًا مثل : " تمائم الحمام " للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر [4].

ويقولُ الجاحظ عن كيفية تربية الحمام : أول ما يُخرَجُ الفرخُ إلى ظهر سطح يعلو عليه ، ويُنصب عليه عُلَمٌ تعرفه ويُلقى العلف على السطح قريبًا من عَلَمه المنصوب بالغداة والعشي- حتى يألف المكان ويتعود الرجوع إليه . وتكون الفراخ جائعة ، وتُخرَجُ قبل المغرب وانتصاف النهار ، ولا تُخرَجُ والريح عاصف ، ولا ينبغي أن تكون الراية سوداء ولا ينبغي أنْ يطيَّره وزوجته معه ، ولكن يُنتف أحدهما ويُطيَّرُ الآخر ويُخرَجان إلى السطح جميعًا ، ويُفضَّلُ ألا تُخرَجُ الذكور الكبيرة ؛ لأنه يعتريها

[1] - المصدر السابق .
[2] - رأبَ : لاحظَ .
[3] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .
[4] - الحيوان للجاحظ .

النشاط والتباعد في الطيران ومجاوزة القبيلة .

ويقول الجاحظ : وقصُّ أحدَ الجناحين دون الآخر يكون أعجز له عن الطيران ؛ لأنَّه إذا كان أحد جناحيه مقصوصًا لم يعتدل وزنه ، ومتى قصهما جميعًا طار لكنَّه لا يبتعد كثيرًا في الطيران .[1]

وقد نقل الجاحظ عن "أفيلمون" وصف الطائر النوذجي الذي يجمع جميع الأوصاف المميزة فقال :

أولاً : من حيث التشريح : انتصاب العنق ، واستدارة الرأس بغير كبرٍ أو صغر ، وكبر القير[2] ونقاؤها ، واتساع المنخرين ، وسعة الجوف ، وجمال العينين مع توقدهما ، وقصر المنقار في غير دقة ، واتساع الصدر ، وطول العنق ، وانكماش الجناحين ، وطول القوادم [3] ، ولحوق بعض الخوافي [4] ببعض ، وكبر الفخذين ، وقصر الساقين ، وافتراق الأصابع ، وقصر الذنب .

ثانيًا : الصفات والشمائل : قلة الاختيال ، وصفاء البصر ، وثبات النظر ، وشدة الحذر ، وحسن الالتفاف ، وقلة الارتعاد عند الفزع ، وخفة النهوض إذا طار .

ثالثًا : علامات الحركة : الطير في علوٍ ، ومد العنق في سموٍ ، وقلة الاضطراب في جو السماء ، وضم الجناحين في الهواء ، وتتابع الركض في غير اختلاط ، وشدَّة المدِّ في الطيران .[5]

[1] - المصدر السابق .
[2] - القير : مساحة لحمية تعلو المنقار .
[3] - القوادم : ريشات طوال في مقدم الجناح عددها أربعة .
[4] - الخوافي : ريشات في باطن الجناح .
[5] - نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ ١٠) للنويري .

في القرآن الكريم :

ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الحمام كان واحدًا من الطيور الأربعة التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ، والتي قال تعالى فيها مخاطبًا نبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة : ٢٦٠) .[١]

في الحديث الشريف :

نهى رسولُ الله ﷺ عن تربية الحمام في غير ضرورة ولا منفعة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة ، فقال ﷺ : " **شيطان يتبع شيطانة** – وفي رواية – **شيطان يتبعه شيطانة** " .[٢] وقال البيهقي : حمله بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام على إطارته والاشتغال به وارتقاء الأسطح التي يشرف منها على الجيران ومنها حُرِّمَتْ .[٣] وقال أحمد بن حنبل : لا بأس أن يتخذ الرجل في منزله الطيور والحمام يستأنس إليها أو ليأكلها فإن تلهَّى بها فإنِّي أكرهه ، وقال الإمام النووي : اتخاذ الحمام للفرخ والبيض أو الأنس أو حمل الكتاب[٤] جائز بلا كراهة وأما اللعب بها للتطيير فالصحيح أنَّه مكروه فإنْ انضم إلى قمار ونحوه فحرام .[٥]

واللعب بالحمام كان عادة قوم لوط – عليه السلام – لذا فإنَّه منيٌّ عنَّه ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن اللعب بالحمام .[٦] وروى الأشعث

[١] - تفسير ابن كثير (١ / ٣١٥) .
[٢] - حديث صحيح رواه أحمد في مسنده ، وابن ماجة وأبوداود في سننيهما ، والطبراني في معجمه ، وابن حبان في صحيحه .
[٣] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[٤] - المراسلة .
[٥] - عون المعبود في شرح أبي داود .
[٦] - رواه الطبري .

عن الحسن رضي الله عنه قال : ما خطبَ عثمان بن عفان رضي الله عنه خطبة إلا أمرَ بقتل الكلاب وذبح الحمام ، وعن الحسن رضي الله عنه قال : سمعتُ عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول : اقتلوا الكلاب واذبحوا الحمام . والأمر بذبح الحمام ليس إشارة إلى قتلها ، ولكن يشير إلى الهدف الأساسي لتربيتها وهو الأكل . وحدَّثَ أسامة بن زيد عن عثمان بن عفان رضي الله عنهما قال : لولا أنَّها أمة من الأمم لأمرتُ بذبحهن ، ولكن قصوهن ، وذلك لأن الناس تنشغل باللعب بها وكذلك أصحاب المراهنات ومن يتشرفون على حرم الناس والجيران [1].

والأمر بقصهن يعني عدم إطارتها واتخاذها للتربية في البيوت لغرض الأكل ، وهي طعام حلال طيب ، وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله - : لحمُ ما رُبِّيَ في الدور أخفُّ لحمًا وأحمدُ غذاءً ، ولحمُ الذكورِ شفاءٌ من الاسترخاء والسكتة والرعشة ، وفراخها جيد للكلى ، ويزيد في الدم [2].

وفي السيرة ارتبطَ ذكره بالهجرة النبوية معجزة من معجزات النبيِّ ﷺ فقد روى البزار في مسنده أن الله تعالى أمرَ العنكبوت فنسجتْ على وجه الغار وأرسلَ حمامتين وحشيتين على فم الغار وإنَّ ذلك مما صدَّ المشركين عنه ﷺ ، وذكر الدميري أنَّ حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين [3]. وذكرالزركشي في : " إعلام الساجد بأحكام المساجد " أنَّه جاء في الأثر أن حمام الحرم من نسل الحمامتين اللتين ركزتا على فم الغار وذلك أن رسول الله ﷺ لما دخل الغار ونسج العنكبوتُ أمرَ الله تعالى حمامتين فباضت إحداهما على نسج العنكبوت وجعلتْ ترقدُ على بيضها فلـمَّا نظرَ الكفار إليها على فم الغار

[1] - حياة الحيوان الكبرى للدميري – الحيوان للجاحظ .
[2] - الطب النبوي لابن القيم .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

وردهم ذلك عن الغار لحرمة مكة وتحريم قتل الصيد بها ، لذلك احترم حمام الحرم .[1]

حكمها :

من قتلَ طائرًا منها في الحرم فعليه فدية كبش .[2] وقد وردتْ في ذلك قصة ، فعن نافع بن عبد الحارث قال : قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكة فدخل دار الندوة في يوم الجمعة وأراد أنَّ يستقرب منه الذهاب إلى المسجد فألقى رداءه على واقف [3] في البيت فوقعَ عليه طير من الحمام فأطاره ، فانتهرته حية فقتلته .[4] فلما صلى الجمعة دخلتُ عليه أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : احكما عليَّ في شيءٍ صنعته اليوم ، وحكى لهما ما جرى منه في شأن الحمامة وقال : فوجدتُ في نفسي- أنِّي أطرته من منزلٍ كان فيه آمنًا إلى موقعة كان فيها حتفه . فقلتُ لعثمان رضي الله عنه : كيف ترى في عنزٍ ثنية عفراء [5] تحكم بها على أمير المؤمنين ؟ فقال : إنِّي أرى ذلك ، فأمَرَ بها عمر رضي الله عنه .[6]

في المثل العربي :

قال العرب : **" آمن من حمام مكة "** ، و**" آمن من حمام الحمى "** ، وحمام الحمى هو حمام يعيش حول الكعبة المشرَّفة حيث تحوم أسرابه في أمنٍ واطمئنانٍ بالآلاف ، ولونه واحد ، ورغم وجوده بها فلا يوجد له فيها أثر لبراز أو ريش ، وهو يبيتُ خارج الحرم ولا يعودُ إليه إلا مع شروق الشمس ، ويقول الجاحظ : لا يسقطُ على الكعبة إلا وهو

[1] - إعلام الساجد بأحكام المساجد (ص ١٥٤) للزركشي .
[2] - رواه مالك في الموطأ .
[3] -شيئًا قائمًا كجدار ونحوه .
[4] - انتهره : بادره .
[5] - عنزة في سنتها الثالثة خالصة البياض .
[6] - رواه الشافعي في مسنده .

عليل ولا يسقط عليها ما دام صحيحًا ، ومن خصاله أنَّه إذا طار وحاذى أعلى الكعبة سربٌ منها انفرق فرقتين ، ولم يعلها طائرٌ منه .[1] ويقولُ العربُ : **" أهدى من حمامة "** وذلك لأن الحمام مضرب المثل لديهم في حبِّ وطنه والاهتداء إليه ، ويقول الجاحظ : فنجده يُرسَلُ من موضعٍ فيجيءُ ويُرسَلُ إلى موضع فيُقصَّ جناحه ويمكثُ هناك حولاً[2] وأكثر من الحول فحين ينبت جناحه يحِنُّ إلى إلفه وينزع إلى وطنه وإنْ كان الموضعُ الثاني أنفعُ لباله ، ثم ربَّما باعه صاحبه فإذا وجد مَخلَصاً رجع إليه حتى ربما فعل ذلك مرارًا .[3] وقيلَ : **" أخرق من حمامة "** لأنها لا تجيد عمل العش وربما وقع البيض فانكسر . وقيلَ : **" أكذب من فاختة "** حيث يُضربُ بها المثل في الكذب عند العرب . وقد ذكر الأبشيهي في المستطرف أنَّ البعض يقولُ أنَّ الحمامة تقول في صياحها : سبحان ربي الأعلى ، وتقول الورشان: لِدُوا للموت وابنوا للخراب ، وتقول الفاختة: ليت هذا الخلقَ ما خُلِقوا ، وليتهم إذا خُلِقوا علموا لماذا خُلِقوا ، وليتهم عملوا لما علموا .[4]

في الرؤيا :

يُؤولُ الحمام في المنام رسول أمين أو صديق صدوق ، أو حبيب أنيس وربما دَلَّ على النوح ، والحمام على رأس المريض يشيرُ إلى الموت .[5] وقد تُؤولُ الحمامة امرأة صالحة مباركة محبوبة لا تبغي ببعلها بدلاً ، وقد تكون الحمامة بنتًا وبيضها بنات وجواري وأفضل الحمام الأخضر . ومن رأى أنَّه ملكَ منها شيئًا كثيرًا كان مالاً وخيرًا عميمًا .

---

[1] - الحيوان للجاحظ .
[2] - الحول : العام .
[3] - الحيوان للجاحظ .
[4] - المستطرف للأبشيهي .
[5] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

وهديل الحمامة معاتبة رجل لامرأته ، ومن نفرتْ منه حمامة تفارقه امرأته . وتُؤولُ الفاختة أنَّها امرأة سليطة كذابة ناقصة الدين ، أما الورشان فامرأة أو غريب أو سماع خبر ، والدُّبسي رجلٌ ناصح واعظ .[1]

٢١- حُمَيرَاءُ

الحميراءُ من العصافير التي تنتمي لفصيلة آكلات الذباب والهوام ، وهو من الطيور المغردة جميلة الشدو . تعيش الحميراء في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا ، وتهاجر الأنواع الأوروبية إلى مصر شتاءً ، وقد سُمِّيَ بهذا الاسم للون صدره الكستنائي اللامع الذي يميل إلى الحمرة وكذلك ذيله عدا نوعين فقط منه ، وهو طائرٌ نشطٌ كثيرُ الحركة يبني عشه في الشقوق وفي سياج الشجيرات ، وتضع بيضات بيضاء أو زرقاء مرقطة وفقًا لأنواعها ، ويتغذى الطائر بالحشرات .

في اللغة :

الُحمَيَراُء : ضرب من الطير كالعصفور يُعرف بـ **الُحَمَّرُ** ، و **الُحَمَّرةُ** ، و **الُحَميراُء** ، وقد تخفف إلى **حُمَرَةُ** ، وحُمَرَاتُ ، وهي ذات ألوان منها الأكدر ، والأرقش .[2] ويُعرف صوته **بالصفير** .[3]

في الحديث الشريف :

ذُكِرَ هذا الطائرُ في الحديث الشريف ، وتبين قصة هذا الحديث أنَّ الرسول الله ﷺ

[1] ـ تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧٠ ، ١٧٥) .
[2] ـ الإفصاح في فقه اللغة .
[3] ـ الحيوان للجاحظ .

مبعوث بالرحمة لجميع خلق الله حتى الطير والحيوان . فهذه حُمَّرَة جاءتْ تشكو إلى رسول الله ﷺ مَنْ فجعها في بيضها فأمَرَ الرسول الكريم ﷺ بردِّهإليها ، وهاك حديثها : فعن عبد الرحمن بن عبد الله رضي الله عنه قال : نزلَ رسول الله ﷺمنزلاً فانطلقَ إنسانٌ إلى غيضة [1] فأخرجَ منها بيضَ حُمَّر فجاءَتْ ترفُّ على رأسِ رسول الله ﷺ ورءوس أصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : **" ويحكم أيكم فجع هذه ؟ "** ، فقال رجلٌ من القوم : أنا أصبتُ لها بيضًا ، فقال رسول الله ﷺ : **" اردده ! "** .[2]

حكمها :

يُباحُ أكلها بالإجماع لأنها من العصافير .[3]

في الرؤيا :

يجري تأويله في الرؤيا كالعصافير .[4]

٢١- حُـــوتٌ

الحيتان أضخم الكائنات ليس بين الحيوانات الحية فحسب وإنما بين الكائنات الحية والمنقرضة على الإطلاق ، فقد أتاحت له الحياة في الماء الوصول إلى أحجام بالغة الضخامة . والحوت حيوان ثديي من رتبة الحوتيات ، وهذه الرتبة تضم قسمين من الحيتان : أولهما تمتاز بوجود صفائح عظمية متراصة بدلاً من الأسنان تعرف بالبالين ، والأخرى لها أسنان حادة . ويبلغ عدد أنواع الحيتان قرابة المائة نوع ، أضخمها

[1] - الغيضة : الشجر الملتف .
[2] - رواه أحمد في مسنده ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[4] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧٩) .

الحوت الأزرق إذ يصل طوله نحو ٣٠ مترًا ، ووزنه نحو ١٥٠ طنـًا ، ويبلغ وزن لسانه وحده مقدار وزن فيلٍ كامل النمو ، ويزن قلبه مقدار وزن ثمانية رجال ، وهذا الحوت رغم ضخامته وديع غير مفترس على الإطلاق فهو يتغذى على القشريات التي يصفيها من الماء عن طريق صفائح فمه التي تشبه المصفاة ، وتتسع معدته لطنٍ من الغذاء . وتلد الأنثى صغيرًا واحدًا طوله سبعة أمتار ويزن نحو ١٦ طنـًا ، ترضعه أمُّه ٥٠٠ لترًا من اللبن يوميـًا ، أما أضخم الحيتان المفترسة هو حوت العنبر الذي يعد أكبر حيوان آكل للحوم على وجه الأرض ، ويُعرفُ بهذا الاسم نظرًا للمادة العطرية التي تُستخلَص منه وتُعرَفُ بالعنبر .

في اللغة :

الحُوتُ : جنس من الحيوانات الثديية من رتبة الحيتان ، والجمع : **حِيتَانٌ** ، و**أحْوَاتٌ** . و**الحوتُ** كذلك هو السمكة صغيرة كانت أم كبيرة ، و**الحُوتُ** أحدُ أبرج السماء ، و**الحَوْتَاءُ** : المرأة ضخمة الخاصرتين مسترخية اللحم . و**النُونُ** : هو الحوتُ أو السمكة . و**العنبرُ** : مادة صلبة لا طعم لها ولا ريح إلا إذا سُحِقتْ أو أحرقتْ .[1]

في الأدب :

قال رؤبة في وصفه :

والحوتُ لا يكفيه شيء يلهمه　　　يصبحُ عطشانَ وفي الماءِ فمُه

يصف الشاعر حاجته الشديدة للماء وعدم استغناؤه عنه .[2]

---

[1] - المعجم الوسيط .
[2] - الحيوان للجاحظ .

في القرآن الكريم :

أشهرُ حوتٌ هو بلا شك حوت يونس – عليه السلام – وردتْ قصته في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، منها قوله تعالى : ﴿ **فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾** ﴾ (الصافات : ١٤٢) ، وقوله تعالى : ﴿ **فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾** ﴾ (القلم : ٤٨) ، وقوله تعالى : ﴿ **وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا** ﴾ (الأنبياء : ٨٧) ، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ يونس عليه السلام قد بعثه الله تعالى إلى أهل نينوي (الموصل الآن) فلم يستجيبوا له فخرج مغاضبًا ، قال تعالى في وصف حاله : ﴿ **فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** ﴾ (الأنبياء : ٨٧) ، ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله – في تفسيره للآية الكريمة : ليس المقصود بقوله : ﴿ **لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** ﴾ كما يظن السطحيون في الفهم عدم قدرة الله عليه – حاشا لله – فسبحانه وتعالى لن يعجزه مخلوق وحاشا لله أنْ يكون هذا هو قصد نبيٍّ من أنبياء الله عليهم السلام ، ولكن المقصود هنا علمه أنَّ الله لنْ يضيِّقَ عليه وسيرسله إلى من هم خيرٌ من هؤلاء الذين كذبوه من قومه ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ** ﴾ (الطلاق : ٧) ، وقوله : ﴿ **وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾** ﴾ (الفجر : ١٦) وذكر ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره وغيره أن يونس عليه السلام بعد أن خرج مغاضبًا ركب البحر في سفينة مع قوم عابرون فلما أشرفتْ السفينة على الغرق اقترعوا على رجل يلقونه في البحر فوقع الاختيار على يونس عليه السلام فأبوا أن يلقوه ، ثم أعادوا ذلك الفعل مرتين فوقع عليه كذلك الاختيار ، فقام فخلع ثيابه ثم قذف بنفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه وتعالى حوتًا يشقُّ البحار

حتى جاءَ فالتقـمَ يونس عليه السلام ، وأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكـل لـه لحـمًا ولا تهشّـِّمْ له عظمًا ، فإنَّ يونس ليس له رزقـًا وأنَّما بطنه سجنـًا له .

وعن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة رضي الله عنها قـال : سـمعتُ أبـا هريـرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : **"لمَّا أراد الله حبسَ يـونس في بطـن الحـوت أوحـى اللهُ إلى الحوت أنْ خذه ولا تخدش له لحمًا ولا تكسر لـه عظـمًا ، فلـمَّا انتهـى بـه إلى أسـفل البحر سمع يونسُ حسًّا ، فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى اللهُ إليه وهو في بطن الحـوت أنّ َهذا تسبيح دوابِّ البحر ، قال : وسبَّحَ في بطن الحوت فسمعته الملائكـة ، قـالوا : يـا ربنا إنَّا نسمعُ صوتـًا ضعيفـًا بأرضٍ غريبة . قال الله تعالى : ذلك عبدي يـونس عصـاني فحبسته في بطن الحوت في البحر . فقالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليكَ منه في كلِّ يوم وليلة عمل صالح ؟ قال تعالى : نعم . قال : فاشفعوا له ، عند ذلك أمَرَ الحوتَ فقذفه في الساحل كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ "** [1] .

وهكـذا نجَّى الله تعـالـى يـونـسَ عليه السـلام بصـالـح دعـائــه مــن الضيق وغفــر لـه ، قال تعـالى : ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦ ﴾ (الصافات : ١٤٥ ، ١٤٦) ألقاه الحوتُ على الساحل كالفرخ المُمَعَّط [2] ، وأنبتَ عليـه شجرة اليقطين (القرع) كانت تظلُّه وكانتْ تأتيـه وَعْلَـةٌ صباحًا ومساءً يشـربُ مـن لبنهــا حتــى قــويَ [3]. ثـم مَـنَّ اللهُ عليـه في قولـه تعـالى : ﴿ **وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** ۝١٤٧ ﴾ (الصـافات : ١٤٧) ، ويقـول الشـيخ الشـعراوي – رحـمه الله – في

[1] - رواه الطبراني في معجمه ، والبزار في مسنده ، وذكره ابن كثير في تفسيره .
[2] - منتوف الريش ، وتمعَّط ريشه أي سقط .
[3] - تفسير الجلالين (ص ٥٩٦) .

تفسيره عن سبب ذكر هذا الرقم ، أنَّ الألف قديمًا كان آخر ما يعرفه الناس من أعداد فكانت مكافئة الله له أن اتبعه أكبر عدد يمكن إحصاؤه من الناس [1].

ولمَّا ذُكِرَ للرسول ﷺ خروجُ يونس مغاضبًا قومه ، والتقام الحوت له ، وشروده به في ظلمات البحر ، وسماع تسبيحه وتسبيح مخلوقاته ، ودعاؤه فيه : ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء : ٨٧) ، واهتزاز العرش له ، وقبول الله لدعائه ، فنبذه الحوت ، قال ﷺ : **" لا ينبغي لأحدٍ أن يقول أنا خيرٌ من يونس "** [2].

وورد لفظ الحوت بمعنى السمك في كتاب الله تعالى في موضع آخر وذلك في قصة موسى وفتاه عليهما السلام مع العبد الصالح في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ ﴾ (الكهف : ٦١) ، فقد روى البخاري في صحيحه أنَّ موسى عليه السلام قام خطيبًا في بني إسرائيل فسُئلَ أيُّ الناسِ أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه إنَّ لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى عليه السلام : يا رب فكيف لي به ، قال : تأخذ معك حوتًا فتجعله في مِكْتَل [3] فحيثما فقدتَ الحوتَ فهو ثَمَّ [4] ، فأخذ حوتًا فجعله في مِكْتَل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليهما السلام حتى أتيا الصخرة ، ووضعا رأسيهما فناما ، واضطرب الحوتُ في المِكْتَل فخرجَ منه فسقطَ في البحر ، وهو قوله تعالى : ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾ (الكهف : ٦١) ، وأمسكَ الله عن الحوتِ

---

[1] - تفسير الشعراوي .
[2] - رواه البخاري في صحيحه .
[3] - مِكْتَل : زنبيل يُصنع من الخوص .
[4] - ثم : هناك .

جرية الماء فصارَ عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة ﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾** ﴾ (الكهف : ٦٢ ، ٦٣) ، قال : وكان للحوت سَرَبًا ولموسى وفتاه عجبًا .. [1]

وقال الله تعالى في موضع آخر : ﴿ **وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾** ﴾ (الأعراف : ١٦٣)

وهذه القصة أنزلها الله قرآنًا يُتلى في وصف قوم من اليهود كانت قريتهم تطلُّ على البحر فكانت الأسماك تمتنع عنهم طوال الأسبوع وتتزاحم في الماء يوم السبت ابتلاءً من الله تعالى فكانوا يصنعون شراكًا لها يوم الجمعة فإذا جاء السبت صادتْ لهم السمك الوفير فعاقبهم الله تعالى فمسخهم قردة ، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾** ﴾ (الأعراف : ١٦٦)

في الحديث الشريف :

ورد ذكر أحد أنواع الحيتان في الحديث ، وهو حوت العنبر الذي يُستخرَج منه مادة العنبر وهي إفراز تخرجه معدته . وقصة الحديث أن الله تعالى نجَّا صحابة رسول الله ﷺ من الهلاك في إحدى السرايا [2] فعن جابر رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله ﷺ

[1] ـ تفسير الجلالين (ص ٣٩٠) .
[2] ـ سرية الخبط أو سيف البحر في العام الثامن من الهجرة ، وكانت تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

وأَمَّرَ علينا أبا عبيدة نتلقَّى[1] عيرًا لقريش ، وزوَّدنا جرابًا[2] من تمر لم يجد لنا غيره . فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرة . قال : فقلتُ : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : نمصها كما يمصُّ الصبيُّ الماء فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبَط[3] ثم نبله بالماء فنأكله . قال:وانطلقنا على ساحل البحر فرُفِعَ لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب[4] ضخم ، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر . قال أبوعبيدة : ميتة . ثم قال : لا ، بل نحنُ رُسُلُ رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهرًا ونحنُ ثلاث مائة حتى سَمِنَّا . قال : ولقد رأيتنا نغترفُ من وَقْبِ[5] عينيه بالقلال[6] الدهنَ . ونقتطع منه الفِدَرَ[7] كالثور – أو قال : كقدر الثور – فلقد أخذ منا أبوعبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينيه ، وأخذ ضلعًا من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمرَّ من تحتها ، وتزوَّدنا من لحمه وشائق[8] ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، فقال رسول الله ﷺ : **" هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟ "** ، قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكَلَ .[9] ونستدل من الحديث على أنَّه لحمٌ حلال ، ويوافق ذلك قوله ﷺ لمَّا سُئلَ ماء البحر فقال : **" هو الطهور ماؤه ، الحِلُّ ميتته "** .[10]

ولحمُ الحوت من الطيبات التي أعدَّها الله تعالى لعباده الصالحين في الجنة ، فعن

[1] -تلقَّاه أي اعترضه .
[2] - الجراب : الوعاء من الجلد .
[3] - الخبط : ما يسقط من ورق الشجر عند تحريكها .
[4] - الكثيب : تلٌّ مستطيل من الرمال .
[5] - الوقب : النقرة .
[6] -القُلَّة : إناءٌ من الفخار .
[7] - الفِدرة : القطعة .
[8] - الوشيقة : قطعة اللحم المقدد .
[9] - رواه مسلم في صحيحه .
[10] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – لَمَّا سمع بمقدم النبيِّ ﷺ أتاه فقال : إنِّي سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ – فقال منها – : ما أول طعتام أهل الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : **" أَمَّا أولُ طعامٍ يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت "** ، فقال : صدقتْ .[1]

والحوتُ واحدٌ من المسبحات التي تسبِّحُ اللهَ ويلهجُ لسانها بثنائه ، وتستغفر للذين آمنوا ، قال رسول الله ﷺ : **" مَنْ سلكَ طريقًا يطلب فيها علمًا سلكَ اللهُ تعالى به طريقًا إلى الجنة ، وإنَّ الملائكة لتضعَ أجنحتها رضًا لطالب العلم ، وإنَّه ليستغفرَ للعالم مَنْ في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء "** .[2]

وذكر الدميري في كتابه " حياة الحيوان " أن القشيري قال : رُويَ أنَّ سليمان عليه السلام ذكر ربه سبحانه وتعالى أنْ يأذن له أنْ يُضَيِّفَ يومًا جميع الحيوانات ، فأذنَ الله تعالى له . فأخذ سليمان عليه السلام في جمع الطعام مدة طويلة ، فأرسلَ الله تعالى له حوتًا واحدًا من البحر . فأكلَ كل ما جمعه سليمان عليه السلام في تلك المدة الطويلة وطالبه بالمزيد . فقال سليمان عليه السلام لمْ يبقَ عندي شيء . ثم قال له : وأنتَ تأكل كل يوم مثل هذا ؟ فقال الحوتُ : رزقي كل يوم ثلاثة أضعاف هذا ، ولكن اللهَ لم يطعمني اليوم إلا ما أطعمتني أنتَ ، فليتكَ لم تضيفني ، فإنِّي بقيتُ اليوم جائعًا حيثُ كنتُ ضيفك ، فهذا سليمان عليه السلام مع عظيم سلطانه وسعة خزائنه عجز عن إشباع مخلوقٍ واحد ، فسبحان المتكفل بأرزاق جميع خلقه .[3]

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه .
[2] - رواه أحمد في مسنده ، والترمذي وأبوداود وابن ماجة في سننهم .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري (١ / ٣٨٠) .

في الرؤيا :

تدلُّ رؤية الحوت على معبد الصالحين ومسجد المتعبدين ؛ لأن يونس عليه السلام كان يُسَبِّحُ في بطنه ، وربما دلَّتْ رؤيته على الغم ، والنكد ، وزوال المنصب ، وحلول الغضب ؛ لأنَّ الله تعالى حرَّم على اليهود صيدها يوم السبت فخالفوا فلعنهم ، ورؤية حوت يونس عليه السلام أمن للخائف ، وغنى للفقير ، وفرح لمن شهده ، وكذلك رؤية سجن يوسف وكهف أصحاب الكهف .[1] وقيل العنبر يُؤول أنه مال من جهة رجل شريف .[2]

٢٣- خُفَــاشٌ

الخفاش حيوان ثديي ينتمي لرتبة تحمل اسمه وتضم ١٧ فصيلة معروفة تضم نحو ألف نوع ، وتشكِّل بذلك نحو ربع عدد أنواع الثدييات المعروفة ، وتتباين أحجامها فيتراوح عرض أجنحتها ما بين مترين في أكبر أنواعه وهو الثعلب الطائر ، و١٥ سم عند الخفاش التايلندي الذي يعد أصغر الثدييات على الإطلاق . وأكثر الخفافيش لا تعتمد أساسًا على حاسة الإبصار في طيرانها وإنَّما تعتمد على موجات فوق صوتية تصدرها من فمها وتستقبلها بسمعها المرهف ، وهذه الصيحات ذات تردد مرتفع لا يستطيع الإنسان سماعها وذلك رحمة من الله تعالى بنا ؛ لأن الصوت الذي يحدثه حيوان واحد منه يساوي صوت طائرة نفاثة بأربعة محركات لا يزيد ارتفاعها عن ميلٍ واحدٍ فوق رءوسنا . ويمتلك الخفاش آذانًا حساسة يستطيع أن

---

[1] - حياة الحيوان الكبرى للدميري (٢ / ٤٤) .
[2] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١١٩) .

يلتقط بواسطتها جزءًا واحدًا من مائة ألف جزء من الصوت الذي يصدره ، وهذا يتيحُ له قدرة خارقة على الصيد فهو يستطيع أنْ يقتنص حشرة طائرة لا يزيد طولها عن ثلاثة مليمترات ، ويستطيعُ أن يتفادى سلكًا في دقة شعر رأس الإنسان . والخفاش ذو مهارة فائقة وقدرة كبيرة على الطيران فهو يخفق بجناحية ١٠ – ١٢ مرة في الثانية ، وتبلغ سرعة أسرع أنواعه ٧٠ كم / س ، وللخفافيش أنواع كثيرة يتخصص كل نوع منها في صنف من الغذاء ، حيث تتغذى على الحشرات ، والثمار ، والضفادع ، والفئران ، والأسماك ، ولا يوجد منه سوى نوعين يمتصان دماء الإنسان والحيوان وتنقل لهما مرض السعار ، لكن أغلب أنواعها تتغذى على الحشرات ، ويستطيعُ الخفاش الواحد أن يصطاد ما لا يقل عن ٦٠٠ بعوضة في الليلة الواحدة . وموسم التكاثر لدى الخفافيش هو الخريف ، والإناث الملقحة تختزن الحيوانات المنوية إلى الربيع عندما تنضج البويضات ، وتلد في الصيف صغيرًا واحدًا ، ونادرًا ٢ – ٣ صغار ، يتعلق بجسم الأم ، يرضع مدة ٥ – ٦ أسابيع ، ويصل إلى مثل حجم الأبوين بعد شهرين من مولده ، لكنها لا تصل إلى النضج الجنسي إلا بعد عامين ، ويعيش الخفاش نحو عشر سنين ، وقد عمر أحدُ أنواعه الأمريكية حتى بلغ ٣٢ عامًا

في اللغة :

الخُفَاشُ : حيوان معروف يستطيع الطيران اسمه مشتق من : **الخَفَش** وهو ضعف البصر ؛ لأنه يكاد لا يبصر ، و **الوُطْوَاطُ** : هو الخفاش العظيم الضخم [1].

---

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .

في الأدب :

قيل عنه : يسكن المناطق الخربة والمهجورة ، وهو طويل العمر ، ويكبر حتى يصير في قدر حجم الحدأة ، والأنثى تحيض وتلد وتحمل صغيرها فترة أثناء طيرانها ، وهو ليس من الطير بل حيوان ، له أذنان ظاهرتان وأسنان ، وقد وصفه الشاعر :

أَبى علماءُ الناسِ أنْ يخبرونني وقد ذهبوا في العلمِ في كلِّ مذهب

دة إنسانٍ وصورةِ طائرٍ وأظفارِ يربوعٍ وأنيابِ ثعلبِ

وهو ضعيف الإبصار حتى قال فيه الشاعر :

مثل النهار يزيدُ إبصار الورى نورًا ويُعمي أعينَ الخفَّاش

ويقول الجاحظ : من الخفافيش نوعٌ يسمَّى بخفاش الفاكهة وهو يأتي بالرمانة فينقبها[1] على شجرتها فيأكل ما فيها ولا يدع سوى القشرة .[2]

في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ (المائدة : ١١٠) والمقصود في هذه الآية بالخطاب هو عيسى عليه السلام ، كما يقول الله تعالى مخبرًا عنه عليه السلام : ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران : ٤٩) ويقول المفسرون أن الطائر الذي خلقه عيسى عليه السلام بإذن ربه هو الخفاش .[3] وقال وهب بن منبه : لمَّا خلق عيسى عليه السلام الخفاشَ بأمر ربِّه كان يطير بحيث يغيب

[1] - نقبَ الشيء : ثقبه .
[2] - الحيوان للجاحظ .
[3] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

عن الأعين ، فيقع ميتًا ليتميز خلق الله من فعل غيره .[1]

في المثل العربي :

يقول العربُ : " **أبصر من الوطواط بالليل** " [2] ، وذلك لقدرته على الطيران في ظلام الليل ، ويقولون : " **أجبنَ من وطواط** " .[3]

في الأساطير القديمة :

كان الخفاش مصدر إلهام لكثير من الأدباء والمفكرين أمثال : "برام ستوكر" في فيلمه "دراكولا" الذي يروي قصة خفاش عقر شخصًا فأصابه بالعدوى فأصبحَ مثله يمتص الدماء ، ويرى فولتير في كتابه " القاموس الفلسفي " أن الخفافيش موتى تخرج من قبورها ليلاً لتمتص دماء الأحياء . وفي الأساطير اليونانية القديمة والتي تعود جذورها إلى نحو عام ٦٠٠ ق.م أن حربًا نشبت بين الطيور والحيوانات وكان الخفاش يقف مع هؤلاء تارة ومع أولئك تارة ، فلَّما عمَّ السلام أصبحَ منبوذًا منهما معًا لذا فقد أخذ خصائص الطيور والحيوانات معًا .

في الرؤيا :

الخفاش في الرؤيا رجل عابد لله متواضع ، وقيل : امرأة ساحرة .[4]

---

[1] - الحيوان للجاحظ .
[2] - جمهرة الأمثال .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[4] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧٢) .

٢٤- خَـنْزِيـرٌ

حيوان ثديي ينتمي لرتبة آكلات العشب من ذوات الحوافر الفردية ، وهو حيوان غير مجتر ، ويضم جنسين : جنس بري يعيش في الغابات الحارة ، وآخر مستأنس تربيه بعض الشعوب للأكل ، وأكثر الدول التي تربيه هي الصين ، ثم الولايات المتحدة ، ثم روسيا ، ثم ألمانيا ، ثم البرازيل . وقد حرَّمته الرسالاتُ السماوية ؛ لأنه يتسبب في نقل كثير من الأمراض والطفيليات التي تجد فيه عائلاً وسيطًا لها . ويرجع استئناسه إلى الصين منذ نحو ٥٠٠٠ عامًا . والخنزير سريع الإنجاب حيث تلد الأنثى ١٢ – ١٤ مرة في العام ، تضع في كل مرة ٩ – ١٠ صغارًا ، ويستطيع الخنزير أن يتغذى على كل أنواع الأطعمة النباتية والحيوانية حتى القمامة ، ويعيش الخنزير من ٧ – ٨ سنوات .

في اللغة :

الخِنزيرُ : حيوان معروف اسمه مشتق من **الخَنْزَرَة** ، وهي الغِلَظ .[١] والفعل : **خَنزَرَ** أي غَلُظَ أو فعَلَ فِعَلَ الخِنزير ، وولده : **خِنُّوص** .[٢]

في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ** ﴾ (النحل : ١١٥) ، وقال تعالى : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ** ﴾ (المائدة : ٣) ، فقد حرَّم الله الخنزير تحريمًا قطعيًا حيث نهى عن أكله واستخدام جسمه كشحمه وشعره ومثل ذلك ، وأثبتَ الطب الحديث أنَّه يسبب للإنسان أمراضًا كثيرة منها :

١ – الإصابة بالديدان الشعرية (الترخينية) والتي تنتقل من لحم الخنزير وخاصة من

---

[١] - الإفصاح في فقه اللغة .
[٢] - المعجم الوسيط (١ / ٢٥٩) .

عضلاته إلى الإنسان الذي يتغذى عليه لتستقر في أنسجة الجهاز التنفسي ، والمخ ، والعين ، والقلب ، والكبد ، وتؤدي هذه الإصابة إلى فقد البصر ، وقد تؤدي إلى الجنون ، ويقدَّر عددالمصابين بهذا المرض بنحو ٤٧ مليونـًا في الولايات المتحدة وحدها .

٢- الالتهاب السحائي وتسمم الدم نتيجة الإصابة بالميكروب السبحي الذي ينتقل إلى الإنسان من الخنزير ، وقد اكتُشفَ هذا الميكروب عام ١٩٦٨م .

٣- الدوسنتاريا الخنزيرية ، والتي تكثر في براز الخنزير .

٤- الإصابة بدودة المعدة القرحية التي تصيب الخنزير وتنتقل منه إلى الإنسان .

٥- الإصابة بدودة الرئة الخنزيرية التي تعيش في رئة الخنزير وتنتقل منه إلى الإنسان .

٦- الإصابة بالدودة الشريطية (ثعبان البطن الخنزيري) [١]، وكان شائعًا أن الدودة الشريطية الخنزيرية هي ابنة عم نظيرتها التي تتطفل على الماشية والأغنام ، وقد ثبت علميًا أن الدودة الشريطية التي تتطفل على الخنزير لديها خاصية بيولوجية عجيبة ، وهي أنَّ الإنسان الذي يُصاب بها مرة فإنَّه قد يُصاب بها مرات أخرى ، حيث تتكرر الإصابة دون أن يتناول لحم الخنزير ، بمعنى أن العدوى تنتقل من الإنسان لنفسه ، وذلك لأن بيض دودة الخنزير يمكن أن تفقس في أمعاء الإنسان ، وتخرج أجنتها ذات الستة أشواك فتخترق جدار الأمعاء لتسري مع الدم وتنتقل إلى الكبد ، والقلب ، والرئتين ، وأي عضو به نسيج لحمي كالكتف ، وبذلك يتحول الإنسان إلى خنزير إضافي أي عائل آخر لهذه الدودة ، وهكذا تختلف هذه الدودة عن نظيرتها التي تنتقل من لحوم البقر والإبل والأغنام إلى الإنسان حيث يقتصر مكان الإصابة بها في

[١] - الإعجاز العلمي في الإسلام : القرآن الكريم – محمد كامل عبد الصمد .

الأمعاء ، ويمكن اكتشافها بسهولة .[1]

والخنزير حيوان قذر يتغذى بالجيف والقاذورات ، ولو وُضع في أنظف الحظائر ولم يجد بها نفايات فإنه يأكل براز الحيوانات الأخرى فإن لم يكن فيها سواه أكل برازه هو ، لذا فإن من خصائص لحمه وشحمه سرعة الفساد والتحلل ؛ لأنَّها تعتبر منبتًا للجراثيم ، كما يحتوي على كميات كبيرة من حمض البوليك حيث أن جسمه يخرج ٣٪ فقط منه بينما يُخرِجُ جسم الإنسان ٩٠٪ منه ، كما أنَّ جسمه لا يحتوي على غدد عرقية . ويحتوي جسم الخنزير على نسبة عالية جدًا من الدهون تبلغ ٥٠٪ من وزنه بينما تصل هذه النسبة في البقر إلى ٥٪ ، لذا فإنَّ أكل لحمه يزيد من نسبة الكوليسترول في الدم ، علاوة على أن أليافه الغليظة تسبب عسر الهضم وارتباك الأمعاء .[2]

لذا فقد حرَّمه الله تعالى ، فعن أبي طفيل قال : نزل آدم بتحريم أربع : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، وهذه الأمور لم تحل قط ، ولم تزل حرامًا منذ خلق الله السموات والأرض .[3] لذا فقد حرَّمته جمع الشرائع السماوية ، ونهى عنه جميع الأنبياء .

وقد ذكر اللهُ تعالى في كتابه الكريم كيف عاقبَ فئةً من اليهود بأن مسخهم خنازير عقابًا لهم على عصيان أوامره ، قال تعالى : ﴿ ..وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ.. ﴾ (المائدة : ٦٠) فقد مسخ الله تعالى طائفة ضالة من اليهود خنازير ، ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله – أن سبب اختيار الخنزير ؛ لأنه حيوان لا يغارُ على أنثاه وهي صفة لازمة في

---

[1] - مقال للدكتور عفيفي محمود أستاذ علم الحيوان بجامعة المنصورة باسم : " حقيقة علمية غائبة حول الحكمة في تحريم أكل لحم الخنزير " نشرت بجريدة الأخبار في عام ١٩٩٧م .

[2] - الإعجاز العلمي في الإسلام : القرآن الكريم – محمد كامل عبد الصمد .

[3] - تفسير ابن كثير .

اليهود .[1]

في الحديث الشريف :

أجمع علماء الأمة على تحريم أكل لحم الخنزير والانتفاع بسائر بدنه في أي غرض ، كما يَحْرُمُ سُؤْرُه[2] وذلك لخبثه وقذارته .[3] كما حرَّمَ الرسول ﷺ بيعه والاتجار فيه لقوله ﷺ : **" إنَّ الله حرَّمَ بيع الخمر ، والميتة ، والخنزير ، والأصنام "** .[4]

وجعل لحم الخنزير ودمه رمزًا لكل حقير ودنس لقوله ﷺ : **" من لعبَ النردشيره فكأنَّما صبغ يده في لحم خنزير ودمه "** .[6]

وورد في الأثر عن يحيى بن سعيد ، أنَّ عيسى عليه السلام لقى خنزيرًا في الطريق فقال له : انفذ بسلام ! فقيل له : تقول هذا لخنزير ؟ قال : إنِّي أخافُ أنَّ أعوِّدُ لساني النطق بالسوء .[7] وهذا الحديث يعلمنا كيف نصون ألسنتنا فلا تنطق إلا بخير . وعن عكرمة قال : قال عيسى عليه السلام : لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنازير ، فإنَّ الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئًا ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها ، فإنَّ الحكمة خيرٌ من اللؤلؤ ، ومن لا يريدها شرٌّ من الخنزير .[8]

في الرؤيا :

الخنزيرُ في الرؤيا رجلٌ ضخمٌ ، موسرٌ ، فاسدُ الدين ، كافرُ ، أو نصراني ، شديد الشوكة ، دنيء وجميع بدنه مال حرام . من رأى أنَّه يرعاها وُلِّيَ على قوم سوءٍ، ومن

---

[1] - تفسير الشعراوي .
[2] - السُؤر : ما تفضل من الماء بعد شربه .
[3] - فقه السنة لسيد سابق .
[4] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .
[5] - الزهر الذي يُستخدم في لعب الطاولة ومثلها .
[6] - رواه مسلم في صحيحه .
[7] - رواه أبوداود في سننه .
[8] - قصص الأنبياء لابن كثير .

ركبه أصاب ظفرًا بعدو ، ولحمه مال حرام [1].

٢٥- دَجَــاج

طائر من رتبة وفصيلة الدجاج ، يُرَجَّحُ أنَّه منحدر من الدجاج البري الذي ينتشر في جنوب ووسط آسيا ، ويرجع استئناس الدجاج إلى نحو عام ٣٠٠ ق.م ، وكان ذلك في الهند ، ثم أدخِلَ إلى بلاد فارس ، ثم مصر ، ثم أدخلتْ إلى أوروبا وكان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد تكوَّنتْ سلالاتها المعروفة منذ نحو ألفي سنة ، وتبلغ عدد هذه السلالات نحو ١٨٠ سلالة ، وهي بذلك صاحبة أكبرعدد من السلالات بين الطيور ، كما أنها أكثر الطيور عددًا في العالم إذ تبلغ نحو عشرة مليارات دجاجة .

في اللغة :

الدَجَاجُ : طائرٌ معروف ، والواحدة : **دَجَاجةٌ** ، وهو اسم يقع على المذكر والمؤنث ، والذكَرُ: **دِيكٌ** ، والجمع : **دُيوكٌ** ،**ودِيَكة** ، وأولاد الدجاج : **الفراريجُ** ، والمذكر منها : **فرُّوجٌ** ، والأنثى : **فرُّوجَة**. وصوتُ الدجاجة هو : **الدَجْدَجَة** من الفعل : **دَجَّ** بمعنى دَبَّ [2].

ويقول ابن سيدة : سُمِّيتْ الدجاجة دجاجة لإقبالها وإدبارها ، ويقولون يدجُّون دجيجًا إذا مشوا مشيًا رويدًا في تقارب خطو ، وقيل أن يقبلوا ويدبروا [3].

ويقول الجاحظ : كل ما يخرجُ من البيضة يُسمَّى فرخًا إلا بيض الدجاج فما يخرج منه يُعرفُ باسم الفراريج [4].

---

[1] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٦٦) .
[2] الإفصاح في فقه اللغة .
[3] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[4] - الحيوان للجاحظ .

في الأدب :

يُوصف الدجاج بقلة النوم وهي تأكل كل شيء من لحوم ، ودم ، وذباب ، وحشرات ، وهو مشترك الطباع يأكل اللحم والذباب وذلك من طباع الجوارح ، ويأكل الخبز ويلتقط الحَبَّ وذلك من طباع البهائم والطير .

ومِنْ حيل الدجاج أنَّه لا ينام على الأرض ، بل ترتفع على رفٍّ ، أو جذع ، أو جدار ، وإذا غربتْ الشمس فزعتْ إلى تلك العادة وبادرتْ إليها .[1]

والديكُ متعدد الزوجات لكنه لا يفرِّق بينهن في المعاملة ، ولديه القدرة على معرفة أوقات الليل ، ويصدر صيحات على فترات متباينة قبل وبعد الفجر ، وهو يمتاز بجماله عن أنثاه وبعرفه الذي يشبه التاج على رأسه لذا قال فيه أبو القاسم الأسعد :

كأنَّ أنو شروان[2] أعطاه تاجه	**وناط عليه كفُ مارية القرطا [3]**
سَبى[4] حلة الطاووس حُسْن لباسه	**ولم يكفه حتى سبى مشية البطا [5]**

وقال آخر في وصف ديك بين دجاجات :

كأنَّ الديكَ ديكُ بني نُمَيرٍ	**أميرُ المؤمنين على السريرِ**
كأنَّ دجاجهم في الدار رُقَّطًا	**بناتُ الروم في قُمُصِ الحريرِ**
فبتُّ أرى الكواكبَ دانياتٍ	**ينلنَ أناملَ الرجلِ القصيرِ**

[1] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .

[2] - أحد أكاسرة .

[3] - قرطا مارية من الحلى الرائعة الجمال التي ظلت مضرب المثل في الروعة ، وقد حازتها فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، فلما ولي زوجها عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه أمرها أن تردها إلى خزانة بيت المال ففعلت فلما مات رحمه الله أتاها بها خازن بيت المال فرفضت أن تعصى زوجها ولو ميتًا وردته إلى بيت المال .

[4] - سَبَى : أخذ وسلب .

[5] - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .

أدافعهــنَّ بالكفــين عنــي وأمسحُ جـانبَ القمـر المنير [1]

وُيسَّمى الديكُ : أبوبرائل هو ما يرتفع من ريش الطائر في عنقه لينفشه للقتال .[2] وقيل أنَّ في الديك شجاعةً وصبرًا عند اللقاء وجنسًا من تدبير الحرب وأنَّ فيه حذقًا وتسديدًا [3] ، وذلك أنَّه يستطيع إيقاع صيصته – وهي شوكة في ساق الديك – في عين الديك الآخر ، وله من الطعنة ، وسرعة الوثوب ، والارتفاع في الهواء ، وسلاحه حادٌّ ماضٍ ، وهو في موضع عجيب وليس ذلك إلا له لذلك سَمَّى العرب الحصون التي كانت تقيمها اليهود في المدينة لامتناعها ، وهو لفظ ورد في القرآن الكريم : ﴿ **وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ** ﴾ (الأحزاب : ٣٣) .[4]

وقد كانت الشعوب اليونانية والرومانية تقتني الديكة المقاتلة وتقيم لها حلبات للمصارعة ويضعون على عرف الديك الفائز إكليلاً من سعف النخيل ، وإذا مات احتفلوا بتشييع جثمانه وأقاموا له نصب تذكاري ، وقد نهى النبيُّ ﷺ عن التحريش بين البهائم .[5] وقيل أنَّه لا يألف صاحبه ولا منزله ولا يحِنُّ لولده ، وإنْ خرجَ من الدار أو سقط على حائط من حيطان الجيران أو على موضع من المواضع لم يعرف كيف يرجع ، وإنْ كان يرى منزله قريبًا وهو في ذلك أحمق من الحبارى .[6] والدجاج يعيش حياة اجتماعية في تسلسل عجيب فكل دجاجة لها ترتيب في السلم الاجتماعي بحيث لا تستطيع واحدة منهن أن تسبقَ من هي أعلى منها أو تتقدمها في الأكل والإقامة ،

---

[1] - الحيوان للجاحظ .
[2] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[3] - صدق الإصابة .
[4] - الحيوان للجاحظ .
[5] - الحديث رواه أبوداود والترمذي في سننيهما .
[6] - الحيوان للجاحظ .

والعجيب أنَّ الدجاجة الدنيا في هذا التسلسل الاجتماعي لو أتيحتْ لها الفرصة أن تتقدمَ على دجاجة أضعف منها فإنَّها تبلغ غاية الشراسة معها .

وقد تمكن العلماء من تمييز ثلاثين جملة مفهومة في صوت الدجاج وبالبحث وُجدَ أنَّ الصوتَ الذي نسمعه من الدجاج ما هو إلا لغة مفهومة في مجتمع الدجاج تتعلق باحتياجته اليومية مثل الشعور بالخطر ، والراحة ، والعثور على الطعام ، وهي لغة بدائية بسيطة ، فسبحان القائل : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام : ٣٨) .

وتبيض الدجاجة السنة كلها عدا شهرين في الشتاء ، ويقول الجاحظ : من غريب أمره أنَّه إذا كثر عدد الدجاج في مكان لم يكن عدد بيضها وفراريجها بمثل ما كان القليل منهن تبيض وتفرخ ، ويعرفُ ذلك تجار الدجاج .[٦٦٠] وأحياناً تنتج البيضة صفارين وإذا فقستْ يخرجُ منها فرخين أحدهما يكون أكبر من الآخر ، وإذا شاخت الدجاجة تنتجُ بيضها بغير مُحٍّ ، وذكر أرسطو أنَّ هناك دجاجة وضعتْ ثماني عشرة بيضة فقستْ كل واحدة فرخين .

ويقول ابن القيم – رحمه الله – في كتابه " الطب النبوي " : ويُفضَّل بيض الدجاج على سائر بيض الطيور وهو معتدل يميل إلى البرودة قليلاً ، كما ذكره صاحب " القانون " كعلاج فقال : مُحُّ البيض مسكن للآلام مملس للحلق وقصبة الرئة ، نافع للحلق والسعال وقروح الرئة والكلى والمثانة ، ومذهب للخشونة لاسيما إذا أخذ بدهن اللوز الحلو ، وإذا قُطِّر بياضه في العين المنتفخة بورمٍ حارٍ برَّده ، كما أنَّه خفيف على المعدة

[٦٦٠] ـ المصدر السابق .

سهل الهضم [1].

ويقول أحد الشعراء في وصفها :

ألا قُلْ لأهلِ الرأي والعلمِ والأدبِ	وكل بصير بالأمور أخي أَرَب
ألا أخبروني أيُّ شيءٍ رأيتم	من الطير في أرض الأعاجم والعرب
قديمٌ حديثٌ قد بدا وهو حاضرٌ	يُصادُ بلا صيدٍ وإنْ جَدَّ في الطلب
ويُؤكل أحياناً طبيخاً وتارةً	قليًا ومشويًا إذا دُسَّ في اللهب
وليس له لحم وليس له دم	وليس له عظم وليس له عصب
وليس له رجلٌ وليس له يد	وليس له رأس وليس له ذنب
ولا هو حيٌّ ولا هو ميتٍ	ألا خبِّروني إنَّ هذا هو العجب [2]

وسُئل الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – يومًا عن قدرة الخالق فوصف البيضة وقال : ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرجَ منه كائن سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح .

ويُقال أنَّ هناك طريقة للتفرقة بين الذكر والأنثى في الفرخ الصغير ، وهي أنْ تمسكَ برأسه فإذا تحرَّكَ وهو معلق في الهواء فهو ذكر وإن سكن كانت أنثى [3].

كما يُفرق بينهما في طور البيضة ، وذلك أن البيضة إذا كانت مستطيلة محدودة الأطراف فهي مخرج الإناث وإذا كانت مستديرة عريضة فهي مخرج الذكور [4].

---

[1] - الطب النبوي لابن القيم .
[2] - العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي .
[3] - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .
[4] - حياة الحياة الكبرى للدميري .

في الحديث الشريف :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ : **" إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله "** .[1]

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنَّ ديكًا صرخ عند النبيِّ ﷺ فسبَّه بعضُ أصحابه ، فقال ﷺ : **" لا تسبه فإنَّه يدعو إلى الصلاة "**[2] – وفي رواية لأبي داود – : **" إنَّه يوقظ إلى الصلاة "** .

وقد شرع الله تعالى أكل الدجاج فهو من الطيبات ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أكل النبيُّ ﷺ لحم الدجاج .[3]

ونهى الإسلام عن العبث بها واتخاذها لغير الأكل ، فقد دخل أنس بن مالك رضي الله عنه دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها ، فقال لهم : نهى رسول الله ﷺ أن تُصَبَّرَ[4] البهائم .[5] وهذا في جميع أنواع البهائم والحيوان ومن فيه حياة .

وعن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس رضي الله عنه قال : ذبح جزارٌ دجاجة لأنس فاضطربتْ فذبحها من قفاها فأطار رأسها ، فأرادوا طرحها فأمرهم أنس بأكلها .[6]

ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : هو خفيف على المعدة سريع الهضم .[7]

في المثل العربي :

يُضرب المثل بالديك في السخاء ، وذلك لأنه يحمل الحب إلى أنثاه بطرف منقاره ،

---

[1] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والترمذي وأبوداود في سننيهما .
[2] - رواه أحمد في مسنده .
[3] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والترمذي والنسائي في سننيهما .
[4] - تُصبَّرُ : تنصب كالصلب ونحوه وترمى حية .
[5] - رواه أبوداود وابن ماجة في سننيهما ، وأحمد في مسنده .
[6] - فقه السنة لسيد سابق .
[7] - الطب النبوي لابن القيم .

فيقال : " **أسخى من الديك** " ، ويُضرب المثل بالدجاجة في الحنو على صغارها ، فيُقال : " **أعطف من أم إحدى وعشرين** " ، وهي كنية الدجاجة [١].

في الرؤيا :

الدجاج في المنام يُؤول أنَّه نساء ذليلات مهينات ، والرقَّادة ذات نشاط وأصالة ، والدبيبة دنيئة الأصل ، وربما دلتْ الدجاجة على المرأة ذات الأولاد ، وريش الدجاج مال ، والبيض يعبر عن النساء ، أما الديك فيدلَّ على خطيب ، أو مؤذن ، أو قارئ للقرآن ، وربما دلتْ رؤيته على الرجل الذي يأمر بالمعروف ولا يأته لأنه يُذكِّر بالصلاة ولا يصلي ، وربما دلَّ على الرجل الكريم المؤثر على نفسه ، أو يدلُّ على ربِّ الدار ، كما أنَّ الدجاجة تدلُّ على رِبَّة الدار . وقيل أنَّ رؤية الديك تدلُّ على مصاحبة العلماء [٢].

وتدلُّ رؤية الديك كذلك على رجلٍ أعجمي كرؤية عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : رأيتُ كأنَّ ديكًا أحمرَ نقرني نقرة أو نقرتين ، فأوَّلها أنَّ أعجميًّا يطعنه ، فطعنه أبولؤلؤة المجوسي – لعنه الله – وهو قائمٌ يصلي الصبح [٣].

٢٦ - ذِئبٌ

الذئب من الثدييات آكلة اللحوم ينتمي إلى الفصيلة الكلبية ، والذئب من أكبر حيوانات فصيلته التي تضمُ ٣٢ نوعًا ، وهو يعيش في جميع أنحاء العالم عدا أستراليا وأمريكا الجنوبية ، حيث يستوطن معظم أوروبا وجميع أنحاء آسيا عدا جنوبها الشرقي ، وأمريكا الشمالية كلها ، وشمال إفريقيا في المناطق المعتدلة والحارة . والذئب

---

[١] - حياة الحيوان الكبرى للدميري .
[٢] - تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٧٥ ، ٣٣١) .
[٣] - رواه البخاري في صحيحه ، وابن سعد في الطبقات ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، وابن الجوزي في مناقب عمر رضي الله عنه .

حيوان ليلي النشاط ينام نهارًا في الكهوف وبين الأحراش الكثيفة ، ولا يخرج للصيد إلا ليلاً ، ومن الصعب التعرف على حجم قطيع الذئاب ؛ لأن الذئاب تسير في صفٍّ طولي فيصعب تحديد أعدادها باقتفاء آثار أقدامها .

وتحمل الأنثى لمدة شهرين وتلد ٥ – ١٠ أدراص في المرة الواحدة ويبلغ الذكر في سن سنتين ، وأقصى عمر عاشه ذئب كان ١٦ سنة ، والذئب يمتلك حواسًا خارقة فلديه حاسة شم مذهلة تمكنه من التقاط روائح فرائسه من مسافة ٢.٤ كيلومترًا ، ويستطيع سماع أصوات لا يدركها الإنسان بسمعه تنحصر بين تردد بالغ الارتفاع وتردد بالغ الانخفاض ، علاوة على ذلك فلديه حاسة بصر ثاقبة . والذئب حيوان صبور قوي التحمل يستطيع تحمل جميع أنواع البيئات ، وهو يستطيع العدو بسرعة ٤٠ كم / س ، ويستطيع قطع مسافة ٦٠ كيلومترًا في الليلة الواحدة دون راحة ، وهو حيوان شرس شديد الفتك يهاجم فرائسه في قطيع متكاتف ، ولكل قطيع منطقة نفوذ قد تصل في حالة ندرة الغذاء إلى نحو ٥٠٠ كيلومتر مربع ، ويمكن سماع صوت الذئاب من مسافة تصل إلى عشرة كيلومترات ، وقد قسم العلماء صوت عوائه إلى ستة أنواع من العواء كإعلان الحرب ، والتزاوج ، ووجود الغذاء ، وقد قام الباحثون بمراقبة قطيعين من الذئاب في منطقتين متجاورتين وقاموا بتثبيت أجهزة إرسال لاسلكية في أجسام عدد منها تبين منها أنَّ الذئاب تردُّ على عواء بعضها إذا كانت ترغب في اللقاء في منطقة محددة في منطقة النفوذ بغرض التزاوج ، ويزداد العواء في حالة وجود صغار لا تستطيع حماية أنفسها ، ولا يحدث عواء في وقت الصيد إلا في القطيع الواحد حيث يردد القطيع عواء الذئب القائد . وينتشر في مصر الذئب المصري الذي يكثر في المناطق الصحراوية المتاخمة لوادي النيل ، وفي المزارع بجوار

الحظائر في القرى ، والأماكن الجبلية والوديان ، حيث تهاجم الدواجن والأغنام والقوارض والأرانب ليلاً ، وتختبئ نهارًا في مزارع القصب والذرة ، وفي المناطق الجبلية بعيدًا عن العمران .

في اللغة :

الذِئبُ : حيوان معروف ، والجمع: ذِئاب ، وتسمَّى الأنثى ذِئبَة ، ويُسمَّى الذئب إذا كبر سنه :**الأَمَرط** ، وذلك لأنَّه إذا كبر سنه سقط شعره ، وهو أخبث ما يكون ، وصوت الذئب : عِوَاء ، وجحر الذئب يُسمَّى : وِجَار .[1]

ومن أسماء الذئب الشائعة بين أسمائنا : **سرحان** ، **وسيد** ، **وعوف** .

في الأدب :

قال الجاحظ : هو شديد الخبث والصبر ، وإذا نامتْ الذئاب واجهت بعضها بعضًا ، والأنثى أشرس وأكثر إفسادًا من الذكر ، والذئب إذا دنا من الغنم عوى ، ثم يذهب إلى جهة أخرى ليصرف انتباه الكلب عنه ، ثم يأخذ بقفا الشاة ويضربها بذنبه حتى تعدو معه . وأفضل وقتٍ لذلك وقت شروق الشمس ، وهو أشد السباع طلبًا للإنسان وخاصة إذا شمَّ منه رائحة الدم .[2]

في القرآن الكريم :

ورد لفظ الذئب في كتاب الله تعالى مرات ثلاث ، وذلك في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام مرة : ﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ** ﴿١٣﴾ ﴾ (يوسف : ١٣) ، فكان ردُّ أبنائه : ﴿ **قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ**

[1] - الإفصاح في فقه اللغة .
[2] - الحيوان للجاحظ .

﴿ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (يوسف : ١٤) ، ثم أخذوه فطرحوه في البئر ثم جاءوا بحجة واهية ، فقالوا : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (يوسف : ١٧) وذلك محصلة حوار طويل دار بين نبيِّ الله يعقوب عليه السلام ، وأخوه يوسف عليه السلام ، وهو ما ذكره الله في كتابه من قصص نبيِّ الله يوسف عليه السلام الذي كاد له أخوته وحسدوه لمكانه من أبيهم فدَّبروا مكيدة للتخلص منه فجاوزوا غاية الغدر والظلم حتى أنَّهم فاقوا غدر الذئب الذي يُضربُ به المثل في الغدر فبدا مظلومًا مُفترًى عليه وقد ألصقوا به قبح فعالهم فصار الذئب مثلاً يُقال للبريء من الذنب فيُقال لكل مظلوم : " **بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب** " ، وقال في ذلك الأحيمر السعدي :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذا عوى ... وصَوَّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

في الحديث الشريف :

لطالما حذرالله تعالى ورسولهُ ﷺ الإنسانَ من الشيطان ومدى تربصه به ، حتى وصفه رسول الله ﷺ في ذلك بالذئب ، فقال ﷺ محذرًا : " **الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ القاصية ، وإياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد** " [1]. فإذا ابتعد الإنسان عن جماعة المسلمين وصحبة الأخيار المؤمنين سقط في حبائله وخسر دنياه وآخرته .

وهذه قصة ذئب يتكلم بلسان الإنس ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال

[1] - رواه أحمد في مسنده .

رسول الله ﷺ : **" بينا راع في غنمه عدا عليه[1] الذئب فأخذ منها شاةً ، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئبُ ، فقال له : من لها يوم السَّبُع [2] يوم ليس لها راع غيري ؟ "** ، فقال الناس : سبحان الله ! فقال رسول الله ﷺ : **" فإنِّي أومن بذلك أنا وأبوبكر وعمر "** .[3] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما راع يرعى بالحَرَّة[4] إذ انتهز الذئب شاة ، فتبعه الراعي ، فحال بينه وبينها ، فأقبل الذئبُ على الراعي فقال : يا راعي ألا تتقي الله ، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليَّ ؟ [5] فقال الراعي : العجب من ذئبٍ مُقْعٍ[6] على ذنبه يكلمني بكلام الإنس . فقال الذئبُ : ألا أخبرك بما هو أعجب من هذا ؟ هذا رسول الله ﷺ بين الحَرَّتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق . فساق الراعي شاءه حتى أتى إلى المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فأخبره بما قاله الذئبُ . فقال رسول الله ﷺ : **" صدق الراعي ، ألا إنَّه من أشراط الساعة كلامُ السباعِ الإنس ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلمَ السباعُ الإنسَ ، وحتى يكلمَ الرجل شراك نعله[7] ، ويحدِّثه سوطه ويخبره بما أحدثَ أهله بعده "** .[8]

وهذه قصة ذئب كان سببًا في عتق أَمَةٍ مؤمنة ضربها سيدها ثم ندم وأسف على ذلك فأعتقها ، فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : كانت لي جارية ترعى

---

[1] - عدا عليه : هاجمه .
[2] - قال الإمام النووي : المقصود بالسبع وقت الفتن حيث يترك الناس غنمهم عرضة لافتراس السباع .
[3] - رواه مسلم في صحيحه ، والترمذي في سننه ، وأحمد في مسنده .
[4] - الحرة : أرض بظاهر المدينة بها حجارة سوداء حادة الحواف سوداء كأنما أحرقت بالنار .
[5] - روى مسلم في صحيحه مرفوعًا إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما أكل السبع فهو له صدقة " .
[6] -أقعى الذئبُ أي جلس على استه مفترشًا ذراعيه على الأرض .
[7] - شراك النعل : سيره .
[8] - رواه أحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وأبونعيم في الدلائل .

غنمًا لي قبل أُحُد ، والجُوَّانِيَّة [1] ، فاطلعتُ ذات يومٍ ، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجلٌ من بني آدم آسف [2] كما يأسفون ، لكني صككتها [3] صكة ، فأتيتُ رسول الله ﷺ فعظَّمَ ذلك عليَّ . قلتُ : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال ﷺ : **" ائتني بها ! "** ، فأتيته بها ، فقال لها ﷺ : **" أين الله ؟ "** ، قالت : في السماء [4]. قال ﷺ : **" من أنا ؟ "** ، قالت : أنت رسول الله – ﷺ . قال : **" اعتقها فإنَّها مؤمنة "** .[5]

فالذئب يعدو على الغنم يفترس منها ويعيث فسادًا فيها ، فهل سمعتم عن ذئبٍ يرعاها ويقوم على حراستها ، لا تعجب ! وانتظر لترى كيف ذاك !

فقد روى الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في " الزهد " عن مالك بن دينار – رحمه الله – قال : لمَّا استعمل عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - على الناس قال رعاة الشاة : مَنْ هذا العبد الصالح الذي قام على الناس ؟ قيل لهم : وما أعلمكم بذلك ؟ قالوا : إنَّه إذا وُلِّيَ على الناس خليفة عدل كفَّتْ الذئاب عن شياهنا . وذكر ابن سعد في " الطبقات " أنَّ موسى بن أعين كان راعيًا بكرمان[6] في خلافة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه – فكانت الذئاب والشاة والوحش ترعى في موضع واحد ، فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئاب لشاة ، فقلنا : ما نرى الرجل الصالح إلا قد مات ، فنظرنا فإذا عمر بن عبد العزيز قد مات تلك الليلة .[7] وهكذا إذا ساد العدل نزلت البركة ، وصلحت الحياة ، وراق العيش ، وإذا صلح الحاكم صلحت

[1] - موضع قرب مكة .
[2] - أسفَ : حزن .
[3] - صكها : لطمها .
[4] - قال المفسرون أن كلمة السماء هنا تعني السمو والعلو لأن الله لا تحيطه سماء ولا أرض فهو الخالق سبحانه .
[5] - رواه مسلم في صحيحه .
[6] - كرمان : ولاية مشهورة بين فارس وخراسان وسجستان قديمًا (معجم البلدان ٤ / ٥١٥) .
[7] - حياة الحيوان الكبرى للدميري (١ / ٥٠٣) .

الرعية .

وكان للذئبِ قصة مع امرأتين حكم بينهما سليمان عليه السلام بما آتاه الله من حكمة وفهَّمه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئبُ فأخذ ابن أحدهما فتنازعتا في الآخر ، فقالت الكبرى : إنما ذهبَ بابنك ، وقالت الصغرى : بل إنما ذهبَ بابنك . فتحاكمتا إلى داود – عليه السلام – فحكم به للكبرى ، فخرجتا على سليمان – عليه السلام – فقال : ائتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه . فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به لها "** [1]. وهذا هو قلب الأم قد آثرتْ حياته على عذابها بفراقه فعلم سليمان عليه السلام أنَّه لا يفعل ذلك إلا أمه فحكم لها .

في المثل العربي :

يقول العرب في أمثالهم : **" أغدر من ذئب "** ، يقولونه في من يخون الأمانة ويغدر بمن يأمنه وقالوا :

وراعي الشاة يحمي الذئبَ عنها ... فكيف إذا الرعاةُ لها ذئاب

ويقولون حول المعنى ذاته : **" من استرعى الذئب فقد ظلم "** يُقال لمن يولي غير الأمين ، ويقولون : **" أخبث من ذئب "** ؛ لأنَّه لا يهاجم قطعان الغنم إلا في غيبة كلاب الحراسة ، وذلك في وقت الثلث الأخير من الليل وحتى شروق الشمس ، وهو الوقت الذي تهجع فيه الكلاب ، ويقول الشاعر :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي مربض المستأسد الضاري

كما يُضربُ به المثل في خفة النوم ، فيُقال : **" أخف رأسًا من الذئب "** ، وهو قول

[1] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والنسائي وأبوداود في سننيهما ، وأحمد في مسنده .

الشاعر :

ينـــامُ بـإحـدى مقلتيـه[1] ويتقـي   بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وقالوا : " أحمق من جَهِيزَة " وهي الذئبة ؛ لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع إذا كان مع ولدها .

في الرؤيا :

تـدلُّ رؤيـة الذئاب على الكـذب ، والحيلة ، والعداوة للأهـل والمكـر بهـم ، ويُؤول في الرؤيا أَنَّه لصٌّ غشـوم ظلوم كذاب جريء ، أو سلطان ظـالم ، أو عـدوٌّ ، مـن انتصر عليه فإنَّه يهزم عدوه ، ومن أكل من لحمه نال نصرًا على عدوٍ ، ومن شربَ من لبنه نال خيرًا كثيرًا ، وإن كان مهمومًا فرَّجَ الله عنه ، وإنْ كان فقيرًا أغناه الله [2].

[1] ـ المقلة : شحمة العين التي يجتمع فيها البياض والسواد .
[2] ـ تفسير الأحلام لابن سيرين (ص ١٦٥) .

ملحق الصور


أيل أحمر
أيل
أيل المسك
بقـــر
أرنب
أرنب بري
بـغـــل
نـغـــل
خروف
حمـــار
حمار بري



جمل آسيوي
حمار مخطط
حصـــان
جمل عربي
خنزير مستأنس
خنزير بري
ثعلب أحمر
ثعلب قطبي
ثعلب رمادي
أسد (ذكر – أنثى)
ثعلب الرمـال
خفاش مصـاص الدماء
خفاش الثعلب الطائر



ثعبان كوبرا مصري

بـــــرص

جربوع مصري

ثعبان المرجان

حية مقرنة مصرية

ثعبان بوا بورما

ثعبان آكل البيض

ثعبان دساس مصري

ثعبان أرقم احمر

ثعبان القاهرة الدودي

ثعبان دساس


جراد صحراوي
ذباب تسي تسي
ذباب منزلي
ذباب الإسطبل
بـرغــوث
بعـــوض
ذباب أزرق
بــومــة
حبــاري
حدأة مصرية
حدأة سوداء
حمام بلدي
حمام زاجل
حمام مالطي
حميراء
دجاج بري
دجاج (ذكر – أنثى)
حوت أزرق
حوت العنبر (أم وصغيرها)

الفهرس